كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــــدرها

الاتحاد العـــام لجماعــة القراء

المسجل بوزارة الشؤون رقم ٨٣٣

العددان الثالث والرابع	ربيع أول وربيع ثانى ١٣٧١ ديسمبر ١٩٥١ ويناير ١٩٥٢	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الرابعة

تفسير القرآن الكريم

(إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ). (سورة آل عمران)

لحضرة صاحب العزة الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك

من سنن الله فى خلقه أنه كما يصلح النفوس بالنعم يصلحها بالمحن وكما يربى الأمم والشعوب باليسر والرخاء يربيهم بالعسر والشدائد وكم هزيمة أملت على الأمة دروساً نافعة وكم أزمة أفادت الأمة أجل فائدة وكثيراً ما كشفت المحن والشدائد للأمة حقائق كانت عليها خافية وهذبتها من أمراض كانت فيها كامنة ، ورب ضارة نافعة ، وربما صحت الأجسام بالعلل ، على هذا السنن الالهى العادل غمر الله المسلمين فى فجر الاسلام بنعمه وإحسانه وابتلاهم بمحنه وابتلائه ليصهر نفوسهم ويصفى إيمانهم ويميز الخبيث من الطيب والصادقين من المنافقين ففى شهر رمضان

من السنة الثانية للهجرة هيأ الله الأسباب لالتقاء جميع المسلمين بجموع المشركين في وادي بدر بالقرب من المدينة وما كانت الدلائل تنذر بحرب ولا قتال لأن المسلمين خرجوا من المدينة للقاء عير قريش لا لحربهم ولا لقتالهم وقد أفلت العير وعاد إلى مكة . والمشركون خرجوا لنجدة العير وصد من يعترضه وقد نجا العير ولم يعترضه أحد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا تراءى الجمعان في بدر والتقت فرسانهم ومشاتهم ودار رحى الحرب في صباح الجمعة السابع عشر من رمضان ولم تمر ضحوة هذا النهار حتى غلبت الفئة القليلة وهي فئة المسلمين الفئة الكثيرة وهي فئة المشركين بإذن الله ونصره وتأييده وخر صناديد قريش وسادتهم صرعى في وادي بدر . وأسر المسلمون منهم نيفاً وسبعين وعادت فلول المشركين إلى مكة مدحورين محزونين وعاد المسلمون إلى المدينة فرحين بنصر الله مستبشرين بنعمة الله وأوحى الله إلى رسوله في شأن هذه الواقعة آيات عدة في سورة الأنفال وجمع ما فيها من حكمة وعبرة قوله عز شأنه في سورة الأنفال : « وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » .

وبعد سنة من واقعة بدر أي في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة هيأ الله الأسباب لالتقاء جموع المسلمين بجموع المشركين في سفح جبل أحد بالقرب من المدينة وقد قدم المشركون من مكة إلى المسلمين مهاجرين وخرج المسلمون إليهم من المدينة مدافعين ودارت رحى الحرب بينهم وما مضى أكثر النهار حتى ظهرت بوادر نصر المسلمين وهزيمة المشركين فظن رماة المسلمين وحماة ظهورهم أن النصر لهم وأن الدائرة دارت على أعدائهم فتخلوا عن أماكنهم ، ونزلوا إلى الميدان وتركوا ظهر المسلمين مكشوفا وليقضي الله أمراً كان مفعولا ، تنبه إلى هذه الثغرة بعض فرسان المشركين فكروا على المسلمين من خلفهم وهاجموهم من نقطة ضعفهم

وفاجأوا المسلمين من حيث لم يحتسبوا فاختلت صفوف جند المسلمين وقتل منهم عدد كثير فيهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وعم رسول الله .

ووقع رسول الله فى حفرة وشج وجهه ودخلت حلقتان فى وجنتيه وأطبق عليه نفر من المشركين يريدون القضاء عليه لولا دفع الله عنه وتضحيات بعض أصحابه فى احتمالهم الأخطار دونه وولى المسلمون لا يلوون على أحد وعادوا إلى المدينة مقهورين محزونين وعاد المشركون إلى مكة فرحين شامتين ، ولم يرحل أبو سفيان عن ميدان القتال إلا بعد أن وقف فوق ربوة عالية وصاح صيحة الشامت - يوم بيوم بدر - اعل هبل .

وكما أوحى الله إلى رسوله بعد واقعة بدر بآيات عدة فى سورة الأنفال تنبه إلى ما فى هذا النصر المبين من بشرى للمؤمنين واطمئنان قلوبهم أوحى الله إلى رسوله بعد واقعة أحد بآيات عدة فى سورة آل عمران تنبه المسلمين إلى ما فى هذه المحنة من دروس نافعة وعظات بالغة .

عزاهم سبحانه على ما أصابهم أجمل العزاء وذكرهم بسنته الكونية التى تهون عليهم هذا البلاء ذلك لأنه قضى بعدله وحكمته أن تكون الأيام دولا بين الناس وأن لا تدوم حال وأن تقوم الدنيا على اليسر والعسر والحلو والمر والرخاء والشدة والسراء والضراء . ذلكم قول الله سبحانه وتعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » ونبههم سبحانه إلى أن المحن والشدائد ضرورية لإصلاح نفوسهم وابتلاء صدق إيمانهم وقوة عزيمتهم وصبرهم فهى تميز الخبيث من الطيب والصبور من الجزوع وتمحص المؤمنين وتطهر المنافق وهى كالدواء مر المذاق ولكن فيه الشفاء فظاهرها فيه العذاب وباطنها فيه الرحمة ذلكم قول الله سبحانه : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

وبين لهم سبحانه أن له سنناً لا تتبدل وأنه جعل لكل شيء سببا وأنهم لما ثبتوا فى مواقفهم وأخذوا حذرهم من عدوهم ووقف رماتهم حيث أوقفهم قائدهم وكان هم كل جندى منهم صد الأعداء ودفع عدوانهم صدقهم الله وعده وأولاهم نصره حتى إذا فشلوا وتنازعوا وعصى رماتهم أمر قائدهم وتخلوا عن مواقعهم واتجهوا إلى الغنيمة والعرض الزائل سلط الله عليهم عدوهم وابتلاهم بما ابتلاهم به من المحن والنكبات فحين كانوا يداً واحدة وقلباً واحداً ووجهتهم دفع العدوان ونصرة الحق وإعلاء كلمة الله أراهم سبحانه ما يحبون من بوادر النصر وبشائر الفوز وحين فشلوا وتنازعوا وعصوا أمر قائدهم وغرتهم الغنائم أراهم سبحانه ما يكرهون من هزيمة واختلال واضطراب وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ذلكم قول الله عز شأنه : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » .

وأنبهم سبحانه على ما ظهر من ضعفهم وانحلال عزائمهم واضطراب عقولهم حين أشيع فى ميدان القتال أن محمداً قد مات لأن من يؤمن بعقيدة ويدين بدين إنما يكون جهاده لنصرة عقيدته وتضحياته فى سبيل دينه ولا يضعف وتنحل عزيمته ويرتد على عقبه لموت زعيم أو قتل قائد لأن الأشخاص للفناء والعقيدة والدين للبقاء ذلك قول الله سبحانه : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » . ونوه سبحانه بفضل من استشهد فى ميدان الجهاد وبما أعده لهم من نعيم وثواب ، وأنهم قد استبدلوا بحياتهم الدنيا حياة عند الله هي خير وأبقى ، ذلكم قول الله سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة نوح) عليه السلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى — المدرس بكلية الشريعة

— ٢ —

(بيان المباحث)

« قال نوح » ذكر هذا اللفظ أول السورة ، ثم أعيد هنا، لطول العهد بحكاية مناجاته لربه عز وجل ، أى قال مناجياً له شاكيا تمرد قومه وضلالهم، وعصيانهم وإعراضهم .

وإذا كانت مناجاته لربه المذكورة فى أول السورة ، قد تضمنت عصيان الشكاية من عصيان قومه أيضاً ، حيث قال : « فلم يزدهم دعائى إلا فرارا » الخ إلا أنه زيد هنا أنه حكى عن قومه أنهم ضموا إلى عصيانه معصية أخرى، هى طاعة رؤسائهم الذين يدعونهم إلى الكفر .

«إنهم عصونى» أى داموا على عصيانى .

والضمير فى « اتبعوا » يرجع إلى العامة والسوقة ، ومدلول (من) فى قوله : « من لم يزده » الخ الرؤساء والمراد (بالخسار) الطغيان والكفر للذين استوجبا عذاب الآخرة .

« ومكروا » معطوف على « لم يزده » والضمير فيه يعود على الرؤساء إذ المعنى: واتبع المرؤوسون من لم يزده الخ واتبعوا من مكروا ، — وإنما جمع الضمير فى « مكروا» حملا على معنى (من) لأن لفظها مطرد ومعناها جمع « مكراً كبارا » مكراً عظيما

جماً ، لأن كلمة « كباراً » من صنع المبالغة فى لغة اليمن .

وذلك المكر من الرؤساء هو احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه ، [وإغراؤهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام .

« لا تذرن آلهتكم » لا تتركن عبادتها على الاطلاق إلى عبادة رب نوح « ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » . قرىء : « وداً » بفتح الواو وضمها ، وهذه أسماء أصنام كانت لهم ، أى لا تتركن عبادة هذه الأصنام على الخصوص ، لأنها أم المعبودات وأعظمها .

وقد اختلف المفسرون فيمن كانت لهم هذه التماثيل قبل أن تعبد :

قال محمد بن كعب ومحمد بن قيس : كانت هذه التماثيل المسماة بهذه الأسماء لقوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام .. وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا زين لهم إبليس أن يصوروا صورهم ، ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر إليها ، فصوروهم ، فلما تقادم العهد عبدها الأحفاد من دون الله ، ومن ذلك العهد ابتدأت عبادة الأوثان .

وبهذا المعنى فسر ما جاء فى الصحيحين من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة فيها تصاوير ، فقال رسول الله ﷺ : إن أولئك كان إذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجدا ، ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة .

وقيل : إنه كان لآدم عليه السلام خمسة أبناء : « » ، وسواع » ويغوث ويعوق » ونسرا .. كانوا عباداً » فلما ماتوا [illegible] مريدوهم لهم أصناما على صورهم » ليتسلوا بها عنهم » ولما تطاول الزمان عبدوها من دون الله

فبعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم

إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادتها فقالوا « لا تذرن آلهتكم » إلخ . .

وقد انتقلت أسماء هذه الأصنام إلى العرب ، فقد أخرج البخارى عن ابن عباس أنه قال : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح عليه السلام فى العرب بعد — والمراد صارت تلك الأسماء أعلاماً على بعض أصنام العرب ، لا أن أعيانها بقيت :

فأما «ود» فكان لكلب بدومة الجندل ، وأما « سواع» فكان لهذيل بساحل البحر ، وأما «يغوث» فكان لغطيف ومراد بالجرف من سبأ ، وأما «يعوق» فكان لهمدان . وأما «نسر» فكان لذى الكلاع من حمير .

هذا . والضمير فى « أضلوا » من قوله : « وقد أضلوا كثيراً » للرؤساء أى أضل الرؤساء بالأصنام كثيراً من الناس ، بأن أمروهم بعبادتها

وجملة : « ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » :—

قال فى الكشف : معطوفة على محذوف ، والتقدير : فاخذلهم ولا تزدهم إلا ضلالا ؛ وفى التعبير بالظالمين دون الضمير إشعار باستحقاقهم الدعاء عليهم وإبداء لعذره عليه الصلاة والسلام ، وتحذير ولطف لغيرهم .

وقيل : إنها معطوفة على : «رب إنهم عصونى » لأن الغرض من قوله «رب إنهم عصونى» الشكاية وابداء العجز واليأس منهم ؛ فهو طلب للنصرة عليهم ، وحينئذ يكون كناية عن قوله انصرنى ، فيكون العطف من عطف الإنشاء على الانشاء من غير تقدير

والمراد بالضلال المدعو بزيادته : إما الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم ، فيكون ذلك دعاء عليهم بعدم تيسير أمورهم . — وإما الضلال بمعنى الهلاك ، كما فى قوله تعالى: «إن المجرمين فى ضلال وسعر » وهو مأخوذ من الضلال فى الطريق ، لأن من ضل فيها هلك .

(والمعنى)

قال نوح مناجياً ربه ، شاكياً له – عز وجل – عصيان قومه ومخالفتهم له : يا رب إنهم داوموا على عصياني فيما آمرتهم به ، مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم ، وصار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة ، فصاروا أسوة لهم في الخسار .

وإنما اتبعوا رؤساءهم لوجاهتهم بسبب الأموال والأولاد ، لا لأنهم شاهدوا منهم دليلا يصحح الانقياد لهم ، أو شبهة توجب الطاعة لأوامرهم وكيف تكون لهم حجة والباطل لا يقوم على ساق ، ولا يطير بجناح .؟

واستمروا بذلك الانقياد للرؤساء على أتباع من مكروا مكراً عظيماجداً . باحتيالهم في الدين ، وصدهم الناس عنه وإغرائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام .

ومن الأساليب التي انتهجوها في صرف الناس عن الدين وإبعادهم عنه أن لفتوا نظر العامة إلى التمسك بآلهتهم التي ورثوا عبادتها عن آبائهم ، فقالوا لهم : لاتتركن آلهتكم على الإطلاق إلى عبادة رب نوح وحده ، بل أشركوها معه ، وتقربوا بها إليه ، فإن الصواب في ذلك لا فيما يمليه عليكم ذلك الإنسان المخالف لعبادة الآباء والأجداد . ولا تتركن على الخصوص عبادة : ود وسواع ، ويغوث ، ويعوق ونسر . – التي هي أعظم آلهتكم وأهمها وأجلها .

يقولون ذلك ليوهموا العامة أن هذه الآلهة الخاصة هي مناط الرجاء ، وموئل العفاة ، ومصدر الخيرات .

وقد وجدوا لهم آذاناً من السوقة صاغية ، وقلوباً لأقوالهم داعية ، ونفوساً بخداعهم راضية ، فاستمرؤوا ماهم عليه من الإضلال والإغواء – وإلقاء العراقيل في سبيل الدعوة ، ونصب الأحابيل لمن يتجه إليها . حتى يئس نوح منهم

وعيل صبره ، فدعا عليهم بقوله . «ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » أى اخذلهم وانصر دينك ، ولا تزدهم إلا هلا كا وعذاباً . أو لا تزدهم إلا بعداً فى ترويج مكرهم ، وأساليب دهائهم وإغوائهم وتمكننا من شرورهم وعدوانهم ، حتى تثقل ظهورهم بالآثام ، فيستوجبوا النكال والوبال اه .

ثم قال الله تعالى :

« مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا»

« بيان وجه الربط »

وجه الربط أن الله تعالى بعد أن حكى كلام نوح . وما يشتمل عليه من عصيان قومه و كفرهم ، بين بعد ذلك ما تسبب عن خطاياهم ، فكانت هذه الآية الكريمة من باب ذكر المسبب بعد السبب .

(بيان المباحث)

« مما خطيآتهم » — : « من » حرف جر مفيدة للتعليل «ما» زائدة لتعظيم الخطايا فى كونهـا من كبائر ما ينهى عنه «خطيآتهم » مجرورة بمن جمع خطيئة . والمراد بها الآثام والمعاصى التى ارتكبها قوم نوح . والجار والمجرور متعلق بقوله « أغرقوا » . والتقدير : أغرقوا من أجل خطيآتهم .

وإنما قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر . إذ المراد لم يكن اغراقهم إلا من أجل خطيآتهم ، لا من أجل سبب آخر . « فأدخلوا ناراً »

(الفاء) للترتيب مع التعقيب . فتفيد أن إدخالهم النار كان عقيب الإغراق من غير مهلة .

ولذلك قالوا: إن المراد بالنار التى أدخلوها نار القبر . لا نار الآخرة . ويكون فى الآية دليل لأهل السنة على إثبات عذاب القبر .

ويجوز أن يراد بها نار الآخرة . وإنما عبر بالفاء المفيدة للتعقيب ، لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال من مدة ، فكأنه شبه مالا يعتد به

من الزمان بعدم تخلل شيء أصلا .

أو يقال: عبر بالماضي، وهو (أدخلوا) عن المستقبل . لصدق الوعد به وتحقق وقوعه . كما في قوله تعالى : « أتى أمر الله » — والمعنى : إنهم سيدخلون في الآخرة نارا . والمرجح الاول .

وكلمة «دون» في قوله : « من دون الله » بمعنى غير .

و (المعنى)

إن قوم نوح لما تمادوا في عصيانهم وأمعنوا في آثامهم ؛ تسبب عن ذلك أن الله أغرقهم بالطوفان ، وأضرمت عليهم النار في قبورهم ، يتقلبون عليها ويصطلون بها .

ولم يجدوا لهم من غير الله أنصاراً يذودون عنهم ذلك العذاب ، ويدفعون عنهم شديد العقاب .

وفي هذه الآية تعريض بأنهم واظبوا على عبادة تلك الأصنام ، لتجلب إليهم المنافع ، وتدفع عنهم الآفات ، فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الأصنام ، ولم يجدوا منها نصيرا

وأقول : في هذا دليل على أن من استعز بغير الله ذل ، ومن استعان بغيره خذل ، ومن أطاع المخلوق وعصا الخالق ، كان مآله الدمار والبوار

ثم قال الله تعالى حكاية عن نوح:

«وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا»

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أن هذا معطوف على قوله « قال نوح : رب إنهم عصوني » لأنه نظيره في اشتماله على الدعاء عليهم ويكون قوله : « مما خطيآتهم » إلخ . اعتراضاً بين دعائه عليه السلام ، للإيذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق ، لم يصبهم الا لأجل خطيآتهم التي عدها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم الهلاك من أجلها .

(بيان المباحث)

« الديار » من الأسماء التي لا تستعمل إلا في النفي العام ، يقال : ما بالدار ديار ، أو ديور ، أي ما بها من أحد ، وهو فيعال : من الدار أو من الدور (بفتح الدال وسكون الواو) .

كأنه قيل : لا تذر على الأرض من الكافرين من يسكن داراً ، أو لا تذر عليها منهم من يدور ويتحرك .

والمراد بالكافرين قومه الذين دعاهم إلى الإيمان والطاعة فلم يجيبوا ، ولم يكن على الأرض يومئذ غيرهم .

ولذلك قالوا : إن بعثة نوح عليه السلام كانت عامة ، وكان الطوفان أيضاً عاماً لجميع الأرض .

ولا يلزم عليه أن يكون نوح كمحمد في عموم البعثة ، لأن محمداً عليه الصلاة والسلام بعث للانس والجن ، بل والملائكة تشريفاً في جميع البقاع والأزمان ، أما عموم بعثة نوح ، فإنما كان لانحصار أهل الأرض إذ ذاك ، وعدم وجود غيرهم ، وليس عموماً من كل وجه .

« يضلوا عبادك » يردوا من آمن إلى الكفر بضرب من المكر والخداع أو يصدوا من يولد من أولئك المؤمنين عن الايمان إذا دعوا إليه — أو يصدوا من ولد منهم ولم يبلغ زمن التكليف عن الايمان بأن ينفروه منه

(ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا)

أي إلا من سيكفر ويفجر ، فوصفهم عليه السلام بما يصيرون إليه لاستحكام علمه بذلك بما حصل له من التجربة ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فقد عرف فيها طباعهم ، ووقف على أحوالهم ، حتى لقد كان الواحد منهم ينطلق بابنه إليه ويقول له: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية ، فيموت الكبير وينشأ الصغير على هذا.

(والمعنى)

إن نوحا عليه السلام لما يئس من قومه الكافرين طلب من ربه عز وجل

ألا يبقى منهم على وجه الأرض واحداً يسكن داراً أو يدور ويتحرك ، وذلك لأنه — سبحانه وتعالى — إذا تركهم يردون المؤمنين إلى الكفر،أويصدون الناشئين عن الايمان ، وبذلك لا يعقبون إلا من سيفجر ويكفر ، ويضل ويبقى

ثم قال الله تعالى حكاية عن نوح :

« رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا »

(بيان وجه الربط)

قال الامام الرازى فى بيانه : اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا على الكفار طلب لنفسه المغفرة فيما صدر عنه من ترك الأفضل

ويحتمل أنه حين دعا عليهم إنما دعا بسبب تأذيه منهم ، فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام ، فاستغفر عن ذلك لما فيه من طلب حظ النفس .

(بيان المباحث)

« ولوالدى » يعنى أباه لمك، وأمه شمخى ، وقد كانا مؤمنين ، ولولا ذلك لم يجز الدعاء لهما بالمغفرة « ولمن دخل بيتى مؤمناً »

قيل: المراد بالبيت المنزل. وقيل المراد به السفينة . وقيل : المراد به شريعته ، استعار لها اسم البيت، لأنها تحفظ من يعتنقها كما يحفظ البيت ساكنه

والمتبادر الأول ، وتخرج امرأته وابنه كنعان ، لأنهما كافران .

« و للمؤمنين والمؤمنات » يعنى من كل أمة إلى يوم القيامة ، وإنما استغفر ربه لمزيد الافتقار إليه جل وعلا : وحباً للمستغفر لهم من والديه والمؤمنين .

(والتبار) الهلاك والدمار ، وكل شىء أهلك فقد تبر ، ومنه قوله تعالى: «إن هؤلاء متبر ما هم فيه» وقد استجاب الله دعوته فأهلك أولئك الكافرين ، ولم يبق منهم باقية .

فان قيل : ما جرم الصبيان حين أغرقوا ؟

والجواب: أنهم إنما أهلكوا الاعلى وجه العقاب ، بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإرادة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم

وقيل : لم يكن لهم أطفال وقت الإهلاك ، لأن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم ، وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين سنة ، فلم يكن معهم صبى حين غرقوا .

هذا . وقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام دعوتين : دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين ، وحيث استجيبت له الأولى ، فلا يبعد أن تستجاب له الثانية . والله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين . والله أعلم .

عبد الرحيم فرغل البلينى

ذكرى القارىء الجليل المرحوم

الشيخ محمد يوسف القشلان

فى مساء الإثنين ٢٨ من شهر المحرم سنة ١٣٧١ هـ الموافق ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ م احتفلت أسرة الفقيد المرحوم الشيخ محمد يوسف القشلان كعادتها منذ وفاته بإحياء الذكرى السابعة وشاركها فى إحياء هذه الذكرى العطرة : الاتحاد العام لجماعة القراء ، وجماعة تضمن القراء بترتيل آى الذكرى الحكيم من أعضاء الهيئة من مشاهير القراء بالمسجد الزينبى تنويهاً بمكانة الفقيد وتقديراً لمعانى الوفاء والبر والإيثار والقناعة والزهد والعفة والصبر على المكارة والاعتداد بالكرامة والثقة بالله . إلى كل هذه الأخلاق التى تجلت فى حياة الراحل الكريم .

وقد أعد الأستاذ محمد هاشم القشلان المفتش بوزارة المعارف كلمة فى تاريخ حياة المرحوم والده وألقاها بالنيابة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود المنوانى رئيس دائرة مصر القديمة لجماعة تضامن القراء وعضو مجلس إدارة الإتحاد العام . حيا الله ذكرى الفقيد الكريم وأمطر على جدثه الطاهر شآبيب الرحمة والرضوان .

كلمة الاتحاد العام لجماعة القراء

فى مناسبة المولد النبوى الشريف

ألقاها الأستاذ الشيخ عبد المطلب يوسف صلاح عضو الاتحاد

أقام الاتحاد العام لجماعة القراء حفله السنوى الرائع بمناسبة مولد الرسول الكريم بالمسجد الحسينى . فكان حفلا رائعا أمه جمهور كبير من العلماء والفضلاء والأطباء . وكان فى مقدمتهم حضرة صاحب السماحة الحسيب النسيب شيخ السادة الصوفية والدكتور يوسف محمد عيد طبيب الأزهر ، وما أن فرغ المصلون من صلاة العشاء حتى تبارى القراء فأخذوا يرتلون آيات الذكر الحكيم إلى أن حان وقت إذاعة الحفلة رسميا بتلاوة من آى الذكر الحكيم من الشيخ عبد الرحمن الدروى . وبعد ذلك وقف الأستاذ عبد المطلب صلاح وألقى كلمة الاتحاد ثم تلاه الأستاذ المطرب الشيخ محمد الفيومى وبطانته بالتواشيح الدينية والقصائد النبوية ، فكان رائعا حقا واختتم هذا الحفل الكريم بتلاوة من قصار المفصل من الأستاذ الكبير الشيخ محمد الصيفى . وذلك تحت رياسة فضيلة الأستاذ الجليل شيخ المقارى . وأشراف حضرات أعضاء الاتحاد

وفيما يلى نص خطاب الاتحاد الذى أذيع فى هذا الحفل المبارك أعاده الله على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها باليمن والبركة آمين .

بسم الله خير الناصرين ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

على حين فترة من الرسل والعالم يئن من الضلالات ويتبرم من الشكوك والاوهام ويرزح تحت أطلال عبادة الأصنام ويتخبط فى دياجير الظلام هائما على وجهه فى بيداء الجهالة تائها فى صحراء الضلالة يتلفت يمنة ويسرة عن هاد يهديه ويتلمس منقذاً ينجيه وفصيلة تؤويه وقانوناً يحميه . وإذا نور يشع فيبدد تلك الظلمة الحالكة ويزهق ذلك الليل الدامس ويزيح المعتقدات الزائفة ويقتلعها من أصولها ويقضى على جذورها فى مهدها ويحول مجرى التاريخ ويفتت هذه المحن ويقضى على مفتريات هذا الزمن ويزيل الكابوس الجاهلى ويرفع علم التحرر الابدى ، ألا تعلمون من صاحب هذا النور ؟ من على الخير مجبول ومفطور ؟ محمد اليتيم الصبور خرج إلى الوجود فقامت الدنيا وقعدت واطمأنت لرسالته وسعدت ولنبوته فرحت واستبشرت .

خلق الخلق جمانا وحصى خالق الانسان من ماء وطين
فلأمر ما وسر غامض تسعد النطفة أو يشقى الجنين
فوليد تسجد الدنيا له ووليد فى زوايا المهملين

ولد صلوات الله عليه من أشرف أبوين هما : عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب . وكان ميلاده فجر الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام . ولما وضعته أرسلت جاريتها إلى جده عبد المطلب وقالت له : ولد لك غلام فانظر اليه فأخذه وقبله ودخل به فى جوف الكعبة بعد أن سماه محمداً رجاء أن يحمده أهل السماء والأرض وقال : الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الاردان . قد ساد فى المهد على الغلمان . أعيذه بالبيت ذى الاركان حتى يكون بغية الفتيان . حتى أراه بالغ البنيان .

ولد ﷺ وضاء الجبين يتلألأ وجهه نوراً تلألؤ القمر ليلة البدر مكحول

العينين مسروراً مختوناً وصدق قوله « من كرامتى على ربى أنى ولدت مختوناً ولم يرسوأتى أحد » .

ولد واقفاً على كفيه وركبتيه شاخصاً ببصره إلى السماء .

لمولده قد رن إبليس رنة فسحقا له . ماذا يفيد رنينه ؟

ولقد أفاض الله على لسان صاحب الهمزية هذه الابيات إذ يقول :

وبدت فى رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء

فأتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء !!

أرضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشاء

أصبحت شولا عجافا وأمست ما بها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل إذ غدا للنبى منها غداء

يالها منة . لقد ضوعف الأجـ ـر عليها من جنسها والجزاء

وإذا سخر الاله .إناساً لسعيد فإنهم سعداء

سيدى رسول الله : جاهدت فى سبيل الله ونشرت ألوية الحق والهداية ومكنت الضعفاء من حياة حرة طليقة لا سلطان فيها إلا للعقل ولا عبودية فيها لغير الله ، كانت حياتك جهادا متواصلا دائبا فى سبيل إعلاء كلمة الحق لم يثنك عن غرضك وعدأو وعيد ولاترغيب أو ترهيب أو ذيت وأوذى معك صحابتك وحوصرت وحوصروا ثلاث سنوات شداد فما لانت لك قناة ولا نكسر لك عود ولا ضعفت لك عزيمة ولا فترت لك همة وعرض عليك المشركون أن تكون ملكا أو سلطانا عليهم أو يبذلوا لك ماشئت من مال أو جاه فقلت كلمتك المأثورة . . والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذاالأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » كلمة قوية حامعة لاتصدر إلا منك

وممن أشربوا مبادئك وساروا على سنتك، وهل كانت دعوتك أيها الرسول لدنيا نصيبها أو غرض تسعى إليه ؟ .

ولكن خوف المشركين من أن يبدد نور التوحيد ظلمات الشرك ومن أن يعلو الحق على الباطل فيزول سلطانهم الموهوم ويتقلص نفوذهم على الضعفاء والمساكين قد أعمى بصائرهم وأصم آذانهم وظنوا أنهم واصلون إلى غرضهم بمثل هذه الوعود الخلابة التى تطيب لها كثير من النفوس . هذا هو أبو طالب عم الرسول يقول له : ياإبن أخى أبق على وعلى نفسك فان القوم ناصبونا العداء من أجل دعوتك !! فيبكى النبي معتقداً أن عمه خاذله !! فيتأثر عمه ويقول !! :

ولقد علمت بأن دين محمد — من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة — لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتى أوسد فى التراب دفينا

سيدى رسول الله : رجم بيتك بالحجارة ووضع التراب على رأسك وأنت ساجد فى الصلاة وعذبت وعذب المسلمون معك فصبرت وصابرت وهاجرت أنت وصاحبك إلى المدينة وآخيت بين المهاجرين والأنصار فكانوا نصراء الحق وأعداء الباطل وصدق الله وعده وطهرت الكعبة من أوزار الشرك بعد أن كسرت رباعيتك وشج وجهك . كنت مثالا للحلم لا تغضب إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله . تقيم حدود الله ولا تقبل فيها شفاعة وتقوم خطيبا فى قومك بقولك : أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها !! » كان مثالا للعدل والنصفة حتى من نفسه !! .

جاءه عليه السلام يهودى يتقاضاه ديناً عليه فأغلظ فى القول معه إذ قال :

« أنتم يابنى عبد مناف تسوفون فى الحقوق !! فقام عمر بن الخطاب من فوره ممتشقا حسامه من جرابه على اليهودى فيغضب الرسول ويثور على عمر بقوله : ياعمر مهلا ! ! كنت أنا واليهودى أحوج منك إلى خير من ذلك !! كنت تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء ! فهدأت ثورة عمر وصاح اليهودى مشدوها ! أهكذا أخلاقك يارسول الله ؟ ! يامحمدا اللهم إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ! ! . كان مثالا نادرا فى الصبر والاحتمال حتى ارتقى ذروة الكمال وبلوغ الآمال . . . صنع عقبة بن أبى معيط الكافر الملحد وليمة دعا إليها الرسول فلبى الرسول الدعوة ولما حضرها خاطب عقبة وقال له : لن آكل حتى تتشهد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل النبى فعلم بذلك المشركون فقالوا لعقبة لقد صبأت ياعقبة . فقال : إن هو إلا رجل شريف دخل منزلى فخفت أن لا يأكل فتشهدت. فقالوا له . وجهنا على وجهك حرام إن لم تقابل محمدا فتلطم خده وتبصق فى وجهه ففعل المجرم الغاشم فنزل قوله تعالى فى حق هذا الآثم الظالم » ويوم يعض الظالم على يديه يقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا !! ياويلتى ! ! ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ! ! لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا ... »

سيدى أبا الزهراء : هذه ذكرى مولدك الشريف نحييها والعالم مضطرب والنفوس هالعة مما يخبئه لها الغيب المكنون فلا يثنينا ذلك عن أن نستروح فى هذا الملع من ذكراك أمنا وسكينة ورضا وطمأنينة تعمر قلوبنا وتملأ أفئدتنا .

أجل علمتنا يارسول الله قولا وعملا أنه ماأضر بالمجاهدين إلا الوقوف فى منتصف الطريق وأن الجهاد الناجح لن يكون إلا بالثبات والصبر والمصابرة وهاهو مثلك الأعلى ماثلا أمامنا فلولا قوة يقينك وشدة مراسك وطول صبرك

واحتمالك لما نجحت دعوتك ولا انتشرت فى الآفاق رسالتك . ولكنك فى طريقك مضيت وعلى ربك اعتمدت ...

اعتمدت. فأيدك بجنده . وأرضاك بنصره . وحفك بعنايته . وأحاطك برعايته سيد البلاد : ومليك الوادى . هؤلاء هم المسلمون يحتفلون بميلاد الرسول الكريم فرحة نفوسهم . مشرئبة أعناقهم إلى الحرية والاستقلال . وجلالتكم موطن الآمال ومحط الرجاء . وأنتم الحمى إذا ادلهمت الخطوب . والملاذ إذا استشرت الكروب . يرجون توجيه الشعب إلى مافيه صلاحه وليس له من علاج إلا بالرجوع إلى الدين والعمل بما جاء به سيد المرسلين واتحاد الزعماء أجمعين . بذلك وذلك وحده ننتصر على الغاصبين وها هى مصر تتحدث عن نفسها على لسان شاعر نيلها:

أنا إن قدر الله مماتى لاترى الشرق يرفع الرأس بعدى
ما رمانى رام وراح سليما من قديم عناية الله جندى
كم بغت دولة على وجارت ثم زالت . وتلك عقبى التعدى
إنما الحق قوة من قوى الديا ن أمضى من كل أبيض هندى
قد وعدت العلا بكل أبى من رجالى فانجزوا اليوم وعدى
وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس يجدى
نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء فيه وعثرة الرأى تردى

سيدى جد الحسنين . هل تدعو ربك ودعاؤك عنده لا شك موضع القبول . أن يمكن للمسلمين من دينهم . ويمنحهم الأمن والحرية فى بلادهم . وينصرهم على أعدائهم. ويجعل الملائكة جنوداً فى صفوفهم . ويلهم ملوكهم وقادتهم التوفيق والسداد . وأن لا يتخلى عنا فى جهادنا . ويكون عوناً لنا فى طريقنا ودفاعنا عن وطننا . والصلاة والسلام عليك ما سبح مسبح ورتل مرتل ونطق لسان واهتز جنان : أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها . هذا هو الاتحاد العام لجماعة القراء . رؤساؤه ووكلاؤه .

أمناؤه وأعضاؤه . وهم الحفظة على الدين . وحراس القرآن المبين . وهم القائمون على درسه وتعليمه وبيان ترتيله وتفهيمه . والناشرون هديه والزائدون عن حوضه . إذ يحتفل بميلاد خير الأنبياء بمسجد الإمام الحسين شهيد كربلاء وسيد الشهداء . يدعوكم إلى إجتماع الشمل ورأب الصدع وتوحيد الصفوف وبذل الدماء . والتضحية حتى الفناء فإما حياة فى ظلال الكرامة والشرف وإما موت فى سبيل الله والوطن

يا بنى الاسلام . إن اللص ما زال يكيد
وعن القطرين يبدى كل يوم ويعيد
افهموا العالم والدنيا جميعاً ما نريد
الجلاء التام الواحد عنه لا نحيد
مصر والسودان منه الركن والدين العميد
نحن شعب ملؤه الغيرة والقول الرشيد
الجهاد الحر لا يعجزه وعد أو وعيد
والحياة الحقة العصماء والوطن المجيد
والجهاد الحق . حتى يصفع الباغى العنيد
هذا أو نهزم ولا نرضى كما يرضى البليد

قيل لعنترة بن شداد العبسى

هل أنت أشجع العرب وأقواهم ؟ قال : لا . قيل له : فبم نلت هذه المنزلة . قال : لا أقدم إلا إذا كان الإقدام عزما . ولا أحجم إلا إذا كان الإحجام حزما . ولا أدخل مدخلا لا أرى لى منه مخرجا .

كيفية استعمال الحروف

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارىء المصرية

- ٧ -

وعند القاف ينقلبون، ولئن ، قلت، سميع قريب. وعند السين . منسأته أن سيكون، عظيم سماعون . وعند الدال . أنداداً ، من دابة ، قنوان دانية . وعند الطاء ينطقون ، من طين ، صعيداً طيباً . وعند الزاى . فأنزلنا ، فإن زللتم ، يومئذ زرقا وعند الفاء فانفلق ، وإن فاتكم ، خالداً فيها . وعند التاء . ينتهوا . من تحتها ، جنات تجرى . وعند الضاد . منضود ، فإن ضللت ، قوماً ضالين . وعند الظاء ينظرون ، من ظهير ، ظلا ظليلا . وسبب إخفائهما عند هذه الأحرف أنهما لم يقربا منهن كقربهما من حروف الإدغام فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب ولم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الاظهار فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد فلما عدم القرب الموجب للادغام والبعد الموجب للاظهار أعطيا حكما متوسطاً بين الاظهار والادغام وهو الاخفاء لأن الاظهار إبقاء ذات الحرف وصفته والإدغام التام إذهابهما معاً والاخفاء هنا إذهاب ذات النون والتنوين من اللفظ وإبقاء صفتهما التى هى الغنة فانتقل مخرجهما من اللسان إلى الخيشوم لأنك إذا قلت عنك وأخفيت تجد اللسان لا عمل له ولم يكن بين العين والكاف إلا غنة مجردة . ثم إنه تارة يكون إلى الاظهار أقرب وتارة إلى الادغام أقرب وذلك على حسب بعد الحرف منهما وقربه ولذا قسموه إلى ثلاث مراتب : دنيا عند الطاء والدال المهملتين والتاء المثناة الفوقية وعليا عند القاف والكاف ووسطى عند البقية .

(والراء) إذا نطقت بها فالصق ظهر لسانك بأعلى حنكك لصقاً محكماً مرة واحدة

بحيث لا يرتعد لأنه متى ارتعد حصل من كل مرة راء وائث بها برفق من غير مبالغة ولاسيما إذا كانت مشددة نحو الرحمن الرحيم أو إذا تكررت و كانت الأولى مشددة نحو : وخر راكعاً .

ولها فى كل من الوصل والوقف حكمان وهما الترقيق والتفخيم على تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . .

(والطاء المهملة) إذانطقت بها فأعطها حقها من مخرجها وصفاتها واعتن ببيان إطباقها واستعلائها وتكميل تفخيمها ولا سيما إذا كانت مشددة نحو : اطيرنا وأن يطوف لئلا يميل اللسان بها إلى الرخاوة ويكون البيان آكد إذا تكررت . نحو : شططا . ويجب بيان إطباقها وقلقلتها إذا سكنت ولو للوقف . نحو الأطفال ونحو : القسط .

وإذا سكنت وأتى بعدها تاء فوقية . نحو : بسطت وأحطت وفرطت وجب إدغامها إدغاماً غير مستكمل التشديد بأن تبق معه صفة الاطباق والاستعلاء لئلا تشتبه بالتاء المدغمة المجانسة لها بسبب اتحاد المخرج ولولا التجانس لم يسغ الادغام لذلك .

(والدال المهملة) إذا نطقت بها فوفها حقها من مخرجها وصفاتها واعتن ببيان جهرها إذ لولا الجهر الذى فيها لكانت تاء ولولا الهمس الذى فى التاء لكانت دالا .

وإذا سكنت وأتى بعدها تاء وجب ادغامها فيها ادغاماً تاماً . نحو حصدتم وأردتم وعدتم وأنا راودته قد تبين وقد تعلمون ولقد تاب فان أتى بعدها غير التاء من حروف المعجم فلابد من بيان شدتها وجهرها وإظهار قلقلتها . نحو : القدر والعدل وواعدنا ولقد نرى ولقد نرى ولقد لقينا .

وليحترز من تحريكها عند إظهار قلقلتها فانه خطأ فاحش .

وإذا تكررت وجب بيان كل منهما لصعوبة التكرير على اللسان . نحو : من يرتدد منكم وأخي اشدد ويمددكم وعدده.

ولابد من ترقيقها اذا جاءت بعد حرف مفخم . نحو : اصدق ويصدر وفى صدور لئلا تفخم فتصير طاء مهملة . وكذلك اذا جاء بعدها ألف . نحو : الدار والنار .

(والتاء المثناة الفوقية) إذا نطقت بها فأعطها حقها واعتن ببيان شدتها لئلا تصير رخوة فتشبه السين لاسيما اذا كانت ساكنة . نحو . فتية وتترى ويتلون .

ويتأكد الاعتناء ببيانها اذا تكررت . نحو تتوفاهم، كدت تركن الراجفة تتبعها

ولابد من تخليصها مرققة إذا أتى بعدها حرف إطباق ولا سيما الطاء التى شاركتها فى المخرج . نحو : أفتطمعون . وتصلية ولا تطغوا .

وإذا أتى بعدها ألف غير الممالة فاحذر تغليظها أو أن تنحو بها الى الكسر بل ائت بها مرققة نحو : تائبون وتأكلون .

وإذا سكنت وأتى بعدها طاء أو دال أو تاء وجب ادغامها فيهن مع إظهار الاطباق والاستعلاء فى الطاء من نحو : ودت طائفة .

وإذا سكنت وأتى بعدها حرف من حروف المعجم غير الثلاثة المذكورة فلا بد من اظهارها لشدتها .

وتجب المحافظة على همسها خصوصاً عند الوقف . نحو : وتمت كلمت وبهت لئلا تصير دالا مهملة .

(والصاد المهملة) إذا نطقت بها فوفها حقها من مخرجها وصفاتها . وإذا سكنت وأتى بعدها دال فلابد من تصفية لفظها لئلا يخالطها لفظ الزاى . نحو أصدق وقصد السبيل ويصدر وتصلية .

وإذا أتى بعدها طاء . نحو : اصطفى ويصطفى فلابد من بيان إطباقها واستعلائها والا قربت من الزاى .

وإذا أتى بعدها تاء نحو : حرصت حرصتم فلابد من بيان لفظ الصاد وتصفية النطق بها وإلا بادر اللسان إلى جعلها سيناً لأن السين أقرب إلى التاء من الصاد إلى التاء .

(والسين المهملة) إذا نطقت بها فوفها حقها وبين همسها وصفيرها وخلص لفظهـا من الجهر خصوصاً إذا سكنت وإلا انقلبت زاياً ، إذ لولا الهمس الذى فيها لـكانت زاياً ولولا الجهر الذي في الزاى لـكانت سيناً فاختلافهما فى السمع هو بالجهر والهمس :

وإذا أتى بعد السـين حرف من حروف الاطباق وجب بيانها برفق وتؤدة ائلا تجذبها قوته فتقلبها صاداً بسبب المجاورة . نحو : بسطة ، ومسطورا . وتسطع وأقسط لأنهما من مخرج واحد ولولا التسفل والانفتاح اللذان فى السين لكانت صاداً ولولا الاستعلاء والاطباق اللذان فى الصاد لـكانت سيناً .

ويجب بيانها وترقيقها فى نحو سلطان ولسلطهم وتساقط وكذلك يجب بيان همسها فى نحو مستقيم ويسجد ائلا تلتبس بالزاى للمجاورة وكذلك يجب بيان انفتاحها واستفالها فى نحو : أسروا ويسحبون وعسى وقسمنا ائلا تشتبه بنحو : وأصروا ويصحبون وعصى وقصمنا .

(والزاى) : إذا نطقت بها فبين جرها لأنها لا تتميز عن السين الا به

فإذا سكنت تأكد بيانها لئـلا يقرب لفظها من لفظ السـين ، نحو : يزجى وكنزتم ولتزدرى وأزكى ووزرك وليزلقونك

وإذا تـكررت نحو . فعززنا وجب بيانها لثقل التـكرير

وإذا أتى بعدها ألف نحو : مازادوكم والزانية تعين ترقيقها

الجهـــــــاد

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ فهيم سالم المليجى

الجهاد فرض كفاية على المسلمين لحفظ عزتهم وكمال هيبتهم وتقوية شوكتهم فيجب على الامام أن يفجأ الكفار فى كل عام باعلان الجهـاد لاضعاف شوكتهم وانزال قدرهم واذلال طوائفهم. وقد درج الاسلام على ذلك فى مبدئه إذ كانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين أما اذا فجأ العدو بأرض المؤمنين كان الجهاد فرض عين على جميع المؤمنين رجالا ونساء صغارا وكبارا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا فجأ العدو بأرض قوم فقد وجب الجهاد على النساء والصبيان . ويعلم من هذا ان الاسلام يدعو الى الشجاعة ويركزها فى نفوس أبنائه ويجعلها من الخلق الكريم ليبنى بها العزة والمنعة والكمال والرفعة ويبتغى بها بناء المجد الشامخ والشرف الباذخ فهى الوسيلة إلى عزة الاسلام ومنعته وقوته ورفعته فاذا أشرق نور الاسلام فى قلب ملأه يقينا بالله وثقـة به فلا يوجد فيه محل للخور والجبن والذلة والمسكنة لكنه يملأه توثبا وتطلعا الى سنام المجد ورقيا الى العزة العلياء والهمة الشماء لا يقعده عن نيل المجد صاد ولا يمنعه مانع . وما أحسن قول الشـاعر :

لنا نفوس لنيل المجد عاشـقة ... ولو تسلت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا فى منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

وبهذ الخلق الكريم والشجاعة النادرة ساد الاسلام وأهله ودكوا عروش القياصرة والاكاسرة ودوخوا الأمم وقادوا الشعوب إلى علياء السماء

فلما دب الخور فى قلوب المسلمين واشتغلوا بدنياهم عن دينهم وغرتهم زهرة الحياة الدنيا وزخرفها وفتنوا بها إستولى على قلوبهم الجبن والخور وكرهوا أن يفارقوا النعيم الزائف وأحبوا أن يعيشوا فى ظلال الحياة الكاذبة أزال الله عنهم ما يشتهون وعاقبهم بالفقر المدقع والموت الأدبى ، فتداعت عليهم الأمم كما تداعى الكلاب على الرمم فسلبتهم عزتهم وصاروا نهباً مقسما أو متاعاً مباحاً يأخذ منه الطغام نصيبهم ويبلغون منهم شهواتهم ، وكانت الأمم الغربية كالكلاب الجائعة والخنازير الطامعة ، نزلوا على الشرق لأشباع جشعهم من تلك الأشلاء الممزقة والقلوب التى ملأت جوراً وجبناً فكان لهم ما أرادوا . ذلك لأن الشرق ضل السبيل وترك تعاليم دينه القويم واتبع هواه بغير علم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .

أيها المسلمون عودوا إلى عزتكم وتعاليم دينكم واملؤا بالشجاعة والإقدام قلوبكم وأحيوا أنفسكم حياة طيبة تفوزوا بنعيمى الدنيا والآخرة ، فالسعادة كل السعادة فى الشجاعة والإقدام واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين .

أيها المسلمون : إن العدو الغاصب الذى جاس خلال الديار ، واستباح قتل النفوس وهدم الديار ونهب الأموال وهتك الأعراض لا يزلزل من شجاعتكم وقلوبكم شيئاً ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم .

لا يهولنكم كثرة عددهم وعددهم ، فهم قوم جبناء لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، لن يغنى عنهم عددهم ولا عددهم من الله شيئاً ، فالنصر من عند الله العزيز الحكيم

إشحذوا العزائم وامتطوا الهمم وجددوا السيوف وسووا الصفوف ووحدوا الكلمة وطهروا القلوب من رجس الشيطان ، وإياكم وقول الأفاكين أنهم أكثر عدداً وعدداً لا طاقة لنا اليوم بهم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله . وربما قال المرجفون فى البلاد ممن سقم فهمهم وضل مثلهم وتنكبوا السبيل السوى والصراط المستقيم . أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعد لعدونا ولا نستطيع لأنا نقول لهم نعم قال الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » إنما قال الله ما استطعتم ولم يقل لهم ما يماثل استعدادهم من طيارات ودبابات ومصفحات .

فذلك لا يجدى شيئاً إذا وهب الله الضعفاء النصر فما النصر إلا من عند الله .

فكم نصر الله ضعيفاً على قوى ، ويضرب الله الأمثال للناس وما يعقلها إلا العالمون واليك أمثلة مما ورد فى كتاب الله قال تعالى فى شأن قوم موسى حكاية عنه إذ قال « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فاعتذر القوم لموسى بأن فيها قوما جبارين لا نستطيع منازلتهم

وقعدوا عن القتال فكانت معه فئة مؤمنة قليلة دخلوا عليهم المدينة وقاتلوهم فكانوا هم الغالبين

وقصة طالوت وجنوده قصها القران وهى مشهورة بين الناس إذ ابتلاهم الله بنهر وكانوا مائة ألف ونهاهم عن الشرب منه فشربوا إلا ثلاثمائة وثلاثة عشرة فلما جاوز وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . وقاتلت الفئة القليلة الفئة الكثيرة ففاز القليلون بالنصر المبين . قيل أن الله ألقى على الكفار

من سبب الخذلان سهوا حتى كان المؤمن يصعد على الكافر كما يصعد على الشجرة فيجز رأسه»

وأرسل الله ملائكته يظاهرون المسلمين على الكفار فى موقعة بدر وذكر ذلك فى كتابه فقال تعالى (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين الآية) إلى أن قال : وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به . يعنى لو شاء الله لنصر المؤمنين من غير إرسال ملائكة تقاتل معهم فى صفوفهم بل يهب المؤمنين القوة والنجدة فيظفرون بعدوهم لكنه أرسل الملائكه ليبشرهم بالنصر بدءا إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان

لاتيأسوا أيها المؤمنون من نصر الله على ضعفكم وقوتهم فلو شاء الله لأرسل ملائكة غلاظا شدادا يمحقون الكافرين ويحبط مالديهم من قوة وعدد فلا تفيدهم فتيلا ولا نقيرا و يحق الحق و يبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين .

فهيم سالم المليجى

مدرس بمعهد القاهرة الدينى

نادرة لطيفة

وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعض وفود العرب وكان فيهم شاب بليغ فتقدم وقال : ياأمير المؤمنين أصابتنا سنون ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت العظم . وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا . وإن كانت لله ففرقوها على عباد الله . وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا . ان الله يجزى المتصدقين . فقال عمر بن عبد العزيز . ماترك الاعرابى لنا عذراً فى واحد .

التحرير

في ذكرى المولد النبوي

محمد قائد وعابد

بقلم الأستاذ صلاح أبو اسماعيل

في كل عام يحتفل المسلمون بميلاد رسول الإسلام ، وبشير السلام ، ومحطم الأصفاد والأغلال ، وتفرح الإنسانية بذكرى الإنسان الأعظم ، الذي قاد الروح إلى ذرا الكمال ، ووضع موازين الأخلاق ثابتة الأركان ، وكان من مبادئه التي لايتسرب إليها اضطراب : أنه كلما قوى سلطان الروح ازداد صدق المرء في إيمانه وتقدم بخطوات موفقة نحو الأمام ، وصار عضواً صالحا في المجتمع الانساني . . . وكلما صلح قلبه ظهرت له ثمرات طيبات ، وقويت علاقته بربه ، وعلاقته بأبناء جنسه .. وكلما تمسك بالمثل العليا علت همته ، وسمت مكانته ، وأصبح من سعداء الدارين .. ولقد صدق الرسول ﷺ إذ يصور هذا كله بأوجز عبارة وأبلغ كلام إذ يقول « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » !

... يحتفل المسلمون بمولد النبي الكريم لكثير من الدواعي وكثير من المعاني . وإني لأعجز عن حصرها في عدد أو جمعها في مقال . ولكني متحدث عن محمد القائد العابد ، المحارب الزاهد ، المجاهد المستبسل .. أو عن الانسان الذي يوجهه الرحمن بقوله « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » « ياأيها النبي حرض

المؤمنين على القتال » في حين يقول له « قم الليل إلا قليلا » « ومن الليل فتهجد به نافلة لك» !

ولئن كانت الشجاعة والاقدام ، والايمان بالفكرة ؛ والثبات على المبدأ ، وإباء الضيم ، واحتقار الموت فى سبيل العقيدة من عوامل انتجاح لدى القواد المغاوير. فلقد تلقوا ذلك عن المجاهد الأعظم حينما حدثهم التاريخ عن قولته المأثورة التى قالها والدنيا كلها تسمع وترى ، وتغشيها سحابة من الهيبة والاجلال ، والتى واجه بها العالم المناوىء المناهض وهو ﷺ فى قلة من العدد والمدد « والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه » !

ولقد تعلم أنصار الحقيقة كيف يكون الجهاد من المجاهد الأعظم يوم حارب فى بدر ، ويوم ثبت فى أحد ، ويوم الخندق ويوم حنين ؛ وفى كثير من المواقع والمواقف التى كان يعانى فيها من القلة فى المؤمنين ، ومن ضعف الشوكة ، ومن نفاق الدخلاء على الاسلام ، ثم يقف وسط هذا الجو المكفهر ، وفى ملتقى الفتن المتقابلة ؛ والحوادث الجسام ، بإيمان راسخ ، ويقين ثابت ، ليكافح أعداء لا يحصى لهم عدد ، ولا يؤمن لهم جانب ولا يعرف بغيهم حداً ، ولا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمه ...

.. استطاع محمد بصبره ومصابرته ، وعزمه وتصميمه وإخلاصه وطهره ، أن يؤدب العابثين ، ويهزم فيالق الشرك ؛ ويرفع راية التوحيد ، ويبدد بنور الله جحافل الظلمات . . .

... هكذا كان يجاهد النبى ، وهكذا كان يكافح ، وهو هو الذى كان يقوم أدنى من ثلثى الليل . وكان يعزف عن الدنيا عفة وقناعة ، وهو الذى جعلها تحت

قدمه حينما عرضت عليه مفاتيح خزائنها والخلد فيها ، وحاشاه أن يركن إليها وهو أكبر منها . بل حاشاه أن ينفق من أجلها لحظة فى لهو أو عبث أو مجون وهو إمام الإنسانية ، ورسول السمو ، وسيد الهداة المرشدين !

. . . لم يجاهد من أجل مطمع شخصى ، أو مظهر كاذب ، أو عرض زائل ، وإنمـــا جاهد فى سبيل ربه ، حتى أنشأ أمة مثلى ، هى كما قال أصدق القائلين : « خير أمة أخرجت للناس » !

فهل يكون الاحتفال بمولده ﷺ قاصراً على مقال ينشر ، أو قصيـدة تنظم ، أو خطبة تلقى ؟!

... لا ننكر أن فى هذا مظهر لما يغمر النفوس وتعبيراً عما تفيض به القلوب ولـكن الاحتفال الحق لا يتم إلا بالعمل قبل القول ، وبتطهير الباطن قبل تنميق للظاهر ، وبتطبيق الشريعة المطهرة فى نصها وروحها ، وفى دقائق الأمور وجلائلها ومن مظاهر ذلك أن تـكون ملايين المسلمين فى شتى البقاع إخوة متضامنين وأحباباً متساندين كما قال زعيمهم الأمين « مثـل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسم إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى !! » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

إذا كنا كذلك استطعنا أن نشعر بجلال الذكرى وعظمة المناسبة ؛ . وإنه ليسرنى أن أعلن هـذه الأمنية الـكريمة الغالية ، التى تتردد فى نفس كل مسلم ، وعسى أن تـكون حقيقة ، حتى تحتل شريعـــة مكانتها فى نفوسنا ، وبيئاتنا ، ومجتمعاتنا ودولتنا ، والعالم الاسلامى ، والأرض ، ومن عليها . وابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، وأنذر عشيرتك الأقربين ...

... إن فى ذكرى المولد لفرصة طيبة لتدارس الآمال والآلام ، وإن فيها

لبلسما وشفاء للجراح ، وإن لها لنداء مدويا ، وإن فيها لنهضة مباركة . وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

سيدى رسول الله :

بجاهك الأعظم نسأل الله تباركت أسماؤه ، وجلت آلاؤه ، أن يجمع شتات أمتك ، ويرفع لواء شريعتك ، وأن يأخذ بناصرنا على الغاصب المعتدى حتى تدور عليهم دائرة السوء ونروى أرضنا بدمائهم ، وأن يوفقنا حتى نكون مسلمين فى كل تصرفاتنا ، مؤمنين فى جميع أعمالنا ، محمديين فى نطقنا وصمتنا ، وحركتنا وسكوننا ، وحكومتنا وشعوبنا ، حتى ترضى يارسول الله ويرضى ربك عنا ، وحتى نكون كما قال الله فينا « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وعليك الصلوات الطيبات ، والتسليمات العاطرات ، وإليك الشوق الملهب ، والعواطف الصادقة يا سيدى ياحبيب الله .

شرف الكتابة والكتاب

الكتابة أشرف صنائع الوجود ذكراً . وأعلاها قدراً . وأغلاها مهراً . وأعزها جاها بعد الخلافة بالاتفاق .

قال الجاحظ مارأيت قوماً أنفذ طريقة فى الأدب من هؤلاء الكتاب . فعلهم لسان الضمير . وبهجة التقرير . وحظهم عنوان التحرير . وسفير التدبير . ووحى الفكرة وسلاح المعرفة . ولذا قال بعض المهالبة لبنيه . تزيو بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . ولو لم يكن فيهم ألا قوله تعالى : كراماً كاتبين . وقوله تعالى : بأيدى سفرة كرام بررة . لكفاهم شرفا .

اعجاز القرآن

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب خلاف بك

جرت سنة الله فى تأييده رسله بالمعجزات أن يؤيد كل رسول من رسله بالمعجزة التى تناسب من أرسل إليهم، وتكون فى بيئته أبلغ دلالة على صدقه وأشد إفحاما لمن كذبوا به.

فموسى عليه صلاة الله وسلامه أيده الله بعصاه السحرية. لأنه بعث إلى فرعون وقومه فى زمن كثر فيه السحرة ومهروا فى سحرهم. ولهذا وصفهم الله بقوله « سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » « فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين. قال نعم وانكم إذاً لمن المقربين. قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون. فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون ».

وهكذا أعجزهم الله فى أظهر مظاهر قوتهم. وهزمهم فى الميدان الذى باهوا فيه بعددهم وأسلحتهم. وقام هذا دليلا على أن موسى مؤيد من الله. وصادق فى دعواه أنه رسول الله.

وعيسى عليه صلاة الله وسلامه أيده الله بمعجزات طبية. لأنه بعث فى زمن مهر فيه الأطباء وحسبوا أنهم بلغوا فى طبهم الغاية. فجاءهم عيسى بآيات من ربهم فى إحياء الموتى. وفى علاج من لا علاج له من المرضى « أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله

وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

ومحمد ﷺ أيده الله بمعجزة القرآن لأنه بعث في بيئة عربية في زمن كان العرب فيه يزعمون أنهم استووا على عرش البلاغة والفصاحة . وملكوا فنون القول وآتوا الحكمة وفصل الخطاب . وقد قال النعمان بن المنذر بين يدى كسرى في وصفهم « وأما حكمة ألسنتهم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم . مع معرفتهم بالأشياء . وضربهم للأمثال . وإبلاغهم في الصفات ما ليس لغيرهم » . وكانت أسواقهم ميادين الخطباء والشعراء وضرب الأمثال .

فالله سبحانه لحكمته البالغة أيد محمداً بالقرآن ليقحمهم في أعز ميادينهم . ويقنعهم بما لاسبيل لهم إلى الجدال فيه . ويقيم لهم برهانا هم أقدر الناس على إدراكه والاذعان له .

فالقرآن الكريم هو البرهان على صدق الرسول في دعواه أنه رسول من الله . وهو المعجزة الخالدة التي تبقى على مر السنين دلالته . وتتجلى بالبحث وإمعان النظر وجوه إعجازه

وأنا أبين في مقالى حقيقة الإعجاز . ثم أبين وجوه إعجاز القرآن . ومن الله أستمد المعونة .

حقيقة الاعجاز

الإعجاز هو إثبات العجز وإظهاره . وإعجاز القرآن للناس أى إثبات عجزهم عن أن يأتوا بمثله . ولا يتحقق الاعجاز إلا إذا توافرت أمور ثلاثة : —

الأول : أن تتحدى من تريد إثبات عجزه.أى أن تتطلب منه أن يأتي بمثل

ماجئت به وتصارحه بأنه لا يستطيع ولن يستطيع .

والثانى : أن تتوافر عند من تتحداه جميع الدواعى التى تحمله على أن يستجيب لدعوتك . ويبطل تحديك . ويأتى بمثل ماجئت به .

والثالث : أن تنفى عنه الموانع الحسية والمعنوية التى تمنعه أن يستجيب لك.

فإذا نظمت قصيدة فى أى موضوع سياسى أو اجتماعى وادعيت أن هذه القصيدة لا يستطيع شاعر من شعراء عصرك أن يأتى بمثلها . وتحديت شعراء عصرك أى صارحتهم بأن هذه القصيدة فوق قدرتهم وأنهم لو عارضوها لن يأتوا بمثلها . وهم مع شدة حرصهم على إبطال دعواك وانتفاء مايمنعهم من معارضتك لم يتقدموا لمعارضتك . ولم يأتوا بشعر فى موضوعك — فلا ريب أنك أظهرت عجزهم وحملتهم إن كانوا غير مكابرين على أن يقروا بدعواك . وأنك تحديتهم وتوافرت دواعيهم لإبطال دعواك وانتفت موانعهم .

والرسول ﷺ جاء بهذا القرآن وقال أنه أوحى إلى من الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء » وقال أن هذا الوحى من الله إلى تصديق إلهى لى فى دعواى أنى رسول الله . وإن كنتم فى ريب من أنه من عند الله وزعمتم أنه من قول البشر فها أنتم من أقدر البشر على القول والبيان . فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله . أو بسورة من مثله . وتحداهم بعبارات واخزة ، وأساليب تثير الحمية وتستفز القريحة . وأقسم أنهم لا يستطيعون ولن يأتوا بمثله . ولن يفعلوا . ولن يستجيبوا .

قال تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . وقال عز شأنه « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم

صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله » وقال « وإن كنتم في في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا — ولن تفعلوا — فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين»

فالله سبحانه على لسان رسوله تحدى النــاس بالقرآن بصور شتى من صور التحدي . وطالبهم أن يأتوا بمثله . أو بعشر سور مثله.أو بسورة من مثله .وأكد لهم بالقسم أنهم لن يستطيعوا ولن يفعلوا لو اجتمعوا إنساً وجناً وتعاونوا بكل الوسائل

والعرب الذين تحداهم رسول الله بالقرآن توافرت لهم كل الدواعي التي تستفز عزيمتهم للمعارضة . وتستنهض هممهم للإتيان بمثله لو كان مقدوراً لهم . لأن محمداً عاب آلهتهم . وسفه عقولهم . وجاءهم بغير ماوجدوا عليه آباءهم.فما أشد حرصهم على أن يبطلوا دعواه أنه رسول الله . وماأشد حرصهم على أن يدحضوا الحجة التي احتج بها ويأتوا بقرآن مثل قرآنه ويثبتوا أن هذا القرآن من قول البشر

وقد انتفت موانعهم الحسية والمعنوية من أن يأتوا بمثله . فالقرآن بلسانهم العربي . وألفاظه مكونة من حروفهم الهجائية التي يكونون منها ألفاظهم . وأساليبه على منهاج أساليبهم . وفيهم ملوك البلاغة والفصاحة . وفرسان السبـاق في الشعر والخطابة وسائر فنون القول . وفيهم أهل الحكمة والأمثال والتجاريب . وبينهم الكهان والرهبان وأهل الكتاب . وقد دعاهم القرآن في تحديه أن تستعينوا بمن شاءوا ليكملوا مانقصهم ويتموا عدتهم .

فلا ريب في أن رسول الله تحدى بالقرآن بأبلغ عبارات التحدي وأشدها وخزاً للضمائر وحفزاً للهمم . ولا ريب في أن من تحداهم توافر لديهم كل ما يقتضيهم أن ينازلوا هذا المتحدي لهم . وأن يأتوا بمثل ماجاء به . ولا ريب في أنهم انتفى عنهم

مايمنعهم من هذه المعارضة من جميع النواحى اللفظية والمعنوية والزمنية . لأن القرآن بلغهم وفيهم أهل العلم والكتاب ، وقد أنزل مفرقا فى سنين عديدة .

ولا ريب فى أنهم مع هذا كله لم يحاولوا أن يعارضوه ولم يأتوا بمثله . ولو جاءوا بمثله لنصروا كهنتهم . وأبطلوا حجة من سفه عقولهم . وكفوا أنفسهم ويلات الحرب والقتال فى عدة سنين . فالتجاؤهم إلى المحاربة بدل المعارضة .وإلى التآمر على قتل الرسول بدل التآمر على الإتيان بمثل قرآنه — اعتراف منهم بالعجز عن معارضته . وتسليم منهم بأن هذا فوق قدرة البشر . وبرهان على أنه من عند الله .

وما هى وجوه إعجاز القرآن ؟ نجيب إن شاء الله عن هذا السؤال فى عدد تال

من نوادر المخطوطات

ما كتبه سيدنا يعقوب إلى سيدنا يوسف عليهما السلام بعد إمساك أخيه بنيامين بإيهام أنه سرق ... من يعقوب أسرائيل الله بن اسحاق ذبيح بن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر . أما بعد فأنا أهل بيت مؤكل بنا البلاء. أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاما. وأما أبى فوضع السكين فوق قفاه ليذبح ففداه الله. وأما أنا فكان لى إبن يدعى يوسف وكان أحب أولادى إلى فذهب به أخوته ألى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه . ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به . فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا أنه سرق وأنك حبسته لذلك . وأنا أهل بيت لا تسرق ولا نلد سارقا . فأن رددته على وألا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام .

قيل لما قرأ يوسف عليه السلام هذا الكتاب عيل صبره ولم يتمالك نفسه من البكاء ثم كتب فى الجواب .·. أصبر كما صبروا: تظفر بما ظفروا والسلام .

من أدب الاســـلام

قدمت أسماء بنت زيد الأنصارية إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله أن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ؛ ونحن معاشر النساء مقصورات محذورات . قواعد بيوت . ومواضع شهوات الرجال . وحاملات أولادهم ، وأن الرجال فضلوا علينا بالجماعات وشهود الجنائز . وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : انصرفى ياأسماء واعلمى بأنك من النساء ، إن حسن تبعل إحدا كن لزوجها وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال .

هذه القصة ترينا الصورة الحقيقية التى يهدف إليها الإسلام فى تربية المرأة وتقويم خلقها ، وتهذيب نفسها ، ومدى صلاحيتها لبناء مجدها ، وتربية أمة قوية فى أخلاقها وفى تكوينها والاشراف على أولادها لتخرج للمجتمع رجالا صالحين لأن يبنوا مملكة ويعلو شأن أمتهم جيلا سداه الخلق ولحمته النظام واحترام حقوق الغير والعمل لخير المجموع

هـذا هو الدستور الصحيح الذى إن تمسكت به المرأة وسارت على هديه وانتظمت فى سلكه وعملت بقواعده رقت وسمت ونالت المكانة السامية والمنزلة الرفيعة وحق لأمتها أن تفخر بين الأمم بما تقدم هذه الأم لأبنائها من مثل عليا وما تبعثه فى نفوس أبنائها من عزة وكرامة وسمو واعتزاز . فالمرأة التى تهز المهد بيمينها هى الحقيقة بأن تحرك العروش بشمالها . .

أما تلك التى تنسى واجباتها وتهمل مملكتها وتخرج إلى الطرقات لتبعث فى الناس الفتنة وتثير فيهم مكامن الشهوة بما تبديه من زينة وما تظهره من خلاعة ومجون ، فهى حرية بكل احتقار خليقة بكل ما يصيبها من ثلم شرفها والاعتداء على كرامتها بأبذء أنواع النعوت لا يقام لها شأن ولا يلتفت إليها إلا كما يلتفت الحيوان إلى أليفه حينما تلح عليه الشهوة أو تثيره عوامل الإغراء لا يقام لها وزن ولا يعبأ بعشورتها

وقديما قسم العلماء والفلاسفة المرأة إلى ثلاث صنوف . فالصنف الأول منهن هى التى تعيش فى حدود أنوثتها الكاملة ومقوماتها السامية وردة ناضجة تشم لا شوكة تؤذى وتجرح ، وقلباً ينبض بالحيوية ، لا عقلا يتفلسف وشعراً يوحى ويلهم . والصنف الثانى هى التى تلتزم حدود الأنوثة فى سماحتها وعفتها ورقتها لها قوة العابدات ، لا عقل المربيات تعيش للرجل أمة تخضع ومتاعاً يستغل .

والصنف الثالث هى التى تعيش الآن فى عصرنا الحاضر تتمرد على أنوثتها ، وتخرج عن حدود طبعها وتثور على بعلها ، وتطالب بما للرجال من حقوق قبل إدراكها لمطالب المجتمع قبلها تتعلم لتجادل وتطلب التحرر لتتحلل من قيود الفضيلة وتسعى فى الأرض لتبث الفتنة أينما حلت وحينما ارتحلت ، وما درت أن الثعالب تترقبها وأن الذئاب تنتظرنا وأنها تذبح الفضيلة فى ثورتها، فعليها إذا أرادت أن تكون المرأة الكاملة فى المدينة المناضلة أن ترحم أمتها وتعنى بأسرتها وتثوب إلى رشدها وتأخذ لها العبرة من الماضى والحاضر لتبنى المستقبل على أسس الدين الصحيحة وأخلاقه الرشيدة ففيها كل السعادة لها وللأجيال المقبلة وكفاها هذا الدستور السليم الذى أرسله رب العالمين إلى خير الهادين والمرشدين فى قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على

جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

هذا هو النظام الكونى الصحيح الذى وضعه الله تعالى للمجتمع للسير على هديه وينتظم تحت لوائه ، وهو المجتمع المثالى الذى ارتضاه رب العزة والجلال لمخلوقاته .

أما تلك النظم المائعة التى نضعها نحن لأنفسنا والتى تختلف فى شىء عن نظم الغاب فهو عبث صبيانى لا يبنى لأمة مجداً ولا يرفع لها شأناً ولا يعلى لها قدراً بل على العكس من ذلك يهدم بنيانها ويقوض دعائمها وفى النهاية تتردى فى هوة سحيقة وتعود إلى همجيتها الأولى .

فإلى القادة والزعماء أهيب بهم أن لا يجاملوا أحداً على حساب دينهم ، وليقولوا بصوت الحق والعدل والإنصاف للمرأة قولة الطهر والبراءة : وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى عن ذلك تستقيم الأمور وتصلح الأحوال ويعرف كل واجبه فيؤديه على خير الوجوه ويعود للأمة الإسلامية مجدها وعزها ومكانتها وسؤددها . وتجنب عوامل الشر والفساد ، ونقضى على هذه الفوضى التى نئن منها جميعاً ويرضى عنا الله والناس أجمعين .

محمود محمد المدنى

قيل للحسن البصرى رضى الله عنه أن فلانا اغتابك فأهدى إليه طبقاً من رطب فأتاه الرجل فقال له : اغتبتك فأهديت إلى ؟ فقال له الحسن : أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك .

وعن ابن المبارك قال : لو كنت مغتاباً لاغتبت والدى لأنهما أحق بحسناتى .

فضل تلاوة القرآن

وما يجب على القراء

القرآن الكريم . هو الذكر الحكيم . والنور المبين والحق المستبين . لا شيء أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه . ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته . ولا ألذ من تلاوته . قال سبحانه وتعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وقال ﷺ « القرآن فيه خبر من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » وقال صلوات الله عليه « أصغر البيوت بيت صفر » من كتاب الله تعالى .

وقال الشعبي رضى الله عنه : الذى يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه عز وجل وقال أيضاً : اللسان عدل على الأذن والقلب ، فاقرأ قراءة يسمعها أذنك ويفهمها قلبك .

وكان الامام أبو حنيفة رضى الله عنه يختم فى رمضان ستين ختمه .

وكان الامام مالك بن أنس رضى الله عنه : إذا حل شهر رمضان يفر من مذاكره الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على قراءة القرآن فى المصحف . وقال ﷺ « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد . قيل يا رسول الله وما جلاؤها ، قال قراءة القرآن وذكر الموت » وعن صالح المزنى قال : قرأت القرآن على رسول الله ﷺ فى المنام ، فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء .

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه

إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن و يختم ليلة الخميس .

وعن على رضى الله عنه . لا خير فى عبادة لا فقه فيها . ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها .

وقد كان للسلف الصالح رضى الله عنهم عادات مختلفه فى القدر الذى يختمون فيه ، فمنهم من كان يختم فى اليوم والليلة ختمة واحدة , ومنهم من كان يختم ختمتين ومنهم من يختم فى كل ثلاث ختمه .

وأما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم منهم سيدنا عثمان بن عفان وسعيد بن جبير وتميم الدارى .

وروى عن مسند الامام أبى محمد الدارمى رضى الله عنه عن سعد بن أبى وقاص قال إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكه حتى يمسى . قال الدارمى . هذا حديث حسن صحيح عن سعد .

وأفضل القرآن ما كان فى الصلاة ، وأما فى غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير منه أفضل من الأول . وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ، ولا كراهة فى وقت من الأوقات ولا فى أوقات النهى عن الصلاة .

ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن ويستحب الدعاء استحبابا مؤكدا . وفى ذلك يقول الامام الجزري فى طيبة النشر .

(البقية على الصفحة التالية)

بشرى وتهنئة

ما كاد نبأ الوليد الجديد ولى العهد وأمير الصعيد يذاع وينتشر حتى غمرت قلوب المواطنين موجة من السرور التام والفرح الغامر حيث أتم المولى نعمتة على جلالة المليك وعلى الوادى بأسره . .

وفى تلك المناسبة السعيدة وجهت إدارة الاتحاد الدعوة إلى جميع أعضائها بشتى المقارىء ليجتمعوا على تلاوة كتاب الله والتضرع إليه جل شأنه لينبت سمو الأمير نباتا حسنا ويجعله قائداً إلى النصر المبين حتى يعز شأن الأمة الاسلامية فى شتى البقاع ومختلف الاصقاع . .

والاتحاد العام لجماعة القراء إذ يساهم بهذا فى موكب السرور الشامل يرفع أسمى آيات التهانى إلى مقام جلالة الملك أعزه الله وأعز به شأن المسلمين .

(فضل تلاوة القرآن — بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وادع وأنت موقن الاجابة دعوة من يختم مستجابة
ولتعتنى بأدب الدعاء ولترفع الأيدى إلى السماء
ولتمسح الوجه بها والحمد مع الصلاة قبله وبعد

ويجب على القارىء الاخلاص فى قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر فى ذهنه أنه يناجى ربه تعالى وأن يكون شأنه الخضوع والخشوع فبذلك تنشرح الصدور وتتيسر الأمور وفضائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر رزقنا الله وإياكم شفاعة القرآن

رئيس التحرير

كتاب النبي ﷺ

الى قيصر ملك الروم

عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظى قال : بعث رسول الله ﷺ دحية الكلبى إلى قيصر وكتب إليه معه ، فلقيه دحية بحمص وقيصر ماش بالقسطنطينية ، فلما لقيه قال له قائل من قومه : إذا لقيته فاسجد له ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك ، قال دحية : لا أفعل هذا أبداً ولا أسجد لغير الله . قال : فإذاً لا يأخذ كتابك ولا يرد جوابك ، قال : وإن لم يأخذ ؟ قال : رجل من القوم أدلك على أمر يأخذ به كتابك ولا يكلفك السجود فيه . قال دحية : وما هو ؟ قال له على كل عقبة : منبر يجلس عليه ، فضع صحيفتك تجاه المنبر فإنه لا أحد يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها . قال : أما هذا فسأفعله ، فعمد إلى منبر من تلك المنابر التى يستريح عليها فألقى الصحيفة تجاه المنبر ثم تنحى فجلس قريباً ، فجاء قيصر وجلس على المنبر ثم نظر إلى الصحيفة فدعا بها ، فإذا عنوانها : كتاب عربى . فدعا الترجمان الذى يقرأ العربية فإذا فيه : من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ، فغضب أخ للقيصر يسمى نياقا فضرب الترجمان ضربة شديدة أقعدته على استه ، ثم نزعها منه ، فقال له قيصر : ماشأنك اختلست الصحيفة ؟ فقال : أتنظر فى كتاب رجل بدأ فيه بنفسه قبلك . قال قيصر لنياق : إنى إلى اليوم ما علمت إنك أحمق صغير ، أم مجنون كبير . أتريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه فلعمرى ، إن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق أن يبدأ بها منى ، وإن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق ، وما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ، ولكن الله

سخرهم لى ، ولو شاء لسلطهم علي كما سلط فارسا على كسرى فقتلوه، ثم فتح الصحيفة فإذا فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من رسول الله إلى قيصر صاحب الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فيا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، وفيها آيات من كتاب الله تعالى يدعوه إلى الله ويزهده فى ملكه ويرغبه فيما رغبه الله فيه من دار الآخرة ، ويحذره بطش الله وبأسه ، فقرأ قيصر الكتاب فقال : يا معشر الروم إنى لا أظن أن هذا هو الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، ولو أعلم أنه هو لمشيت إليه حتى أخدمه بنفسى ولا يسقط ماء وضوءه إلا على يدى . قالوا ما كان الله ليجعل ذلك فى العرب الأميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب . قال فاصل الهدى بينى وبينكم عندى . الانجيل ندعو به فنفتحه ، فان كان هو اتبعناه وإلا أعدنا إليه خواتيمه كما كانت إنما هى خواتم مكان خواتم . قال وكان على الانجيل يومئذ اثنا عشر خاتما من ذهب ختم عليه هرقل ، فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر حتى أتى ملك قيصر وعليه اثنا عشر خاتما يخبر أولهم آخرهم أنه لا يحل لهم أن يفتحوا الانجيل فى دينهم ، وأنه يوم يفتح يغير دينهم ويهلك ملكهم ، فدعا بالانجيل ففض عنه أحد عشر خاتما حتى إذا بقى عليه خاتم واحد قامت عليه الشمامسة والأساقفه والبطارقة فشقوا ثيابهم وصكوا وجوههم ونتفوا رءوسهم . قال قيصر : مالكم ؟ قالوا اليوم يهلك ملك أبيك ويتغير دين قومك . قال فاصل الهدى إلخ . قالوا لا تعجل حتى نسأل عن هذا ونكاتبه وننظر فى أمره ، فإنك قادر إن شاء الله تعالى على أن تفض هذا الخاتم فتنظر فيه ما تريد ، وأنك لا تقدر أن انفتق عليك

ما تكره أن ترده بعد فتقه ، قال : فمن نسأل عنه ؟ قوماً كثيرون بالشام ، فأرسل يبتغى قوماً يسألهم ، قال فجمع له أبو سفيان ابن حرب وأصحابه . فجاء قوم كلهم لله ورسوله عليه السلام عدو . فقال : أخبرنى يا أبا سفيان من هـذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلم يأل أن يصغر أمره ما استطاع . قال : أيها الملك لا يكبر عليك شأنه ، إنا نقول هو ساحر ، ونقول هو شاعر ، ونقول هو كاهن . قال قيصر كذلك والذى نفسى بيـده كان يقال للأنبياء قبله . أخبرنى موضعه فيكم ؟ قال أوسطنا بيتـا ؛ قال كذلك يبعث الله كل نبى من أوسط قومه . قال أخبرنى عن أصحابه ؟ قال غلماننا وأحداثنا سناً والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم أحد قال : أولئك والله أتباع الرسل منذ قط ، أما الملأ والرءوس فتأخذهم الحمية . قال أخبرنى عن أصحابه هل يفارقونه بعد ما يدخلون فى دينه سخطه له ؟ قال مايفارقه منهم أحد ؛ قال فلا يزال داخل منكم فى دينه ؟ قال نعم . قال ماتزيدوننى فيه إلا بصيرة ؛ والذى نفسى بيده ليوشكن أن يقلب على ما تحت قدمى . يامعشر الروم هل إلى ما نجيب هذا الرجل إلى ما دعانا إليه ونسأله الشام أن لا توطأ علينا أبداً فانه لم يكتب قط نبى من الأنبياء إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله تعالى فيجيبه إلى دعاه ثم يسأله غيرها ألا أعطاه سألته ما كانت فأطيعونى فلنجبه إلى ما دعانا إليه ونسأله الشام أن لا توطأ ، قالوا لا نطاوعك فى هذا أبداً تـكتب إليه تسأله فى ملكك الذى تحت رجليـك وهو هنالك لا يملك من ذلك شيء فمن أضعف منك تدبيراً قال أبو سفيان والله ما يمنعنى من الله أقول قولا أسقط من عينـه ألا إنى أكره أن أكذب عنده كـذبة يأخذها فلا يصدقنى فى شيء ؛ قال حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به . قال قلت أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعلم أنه قد كـذب . قال وما هو ؟ قال يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح قال وبطريق

إيليا إذ ذاك عندرأس قيصر ، فقال بطريق إيليا قد علمت تلك الليلة ، قال فنظر قيصر إليه ، قال وما علمك بهذا ؟ قال إنى كنت لا أنام ليلة أبداً حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن حضر لى كلهم فعالجناه فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا فدعوت النجاجرة فنظروا إليه فقالوا هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان والاسطوانه ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى . قال فرجعت وتركت الباب مفتوحاً ، فلما أصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذى من زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مربط الدابه . قال فقلت لأصحابى ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبى وقد صلى الليـلة فى مسجدنا . فقال قيصر لقومه يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشركم به عيسى كنتم ترجون أن يجعله الله منكم . قالوا نعم . قال فإن الله قد جعله فى غيركم فى أقل منكم عدداً وأضيق منكم باباً ، وهى رحمة الله يضعها حيث يشاء ، فإما أن تطيعونى فيما آمركم به وإلا رأيتم الخيل دوابين نواصيها بين أظهركم فتقتل الرجال ويستباح المال وتسبى العيال . قالوا نصبر له عشر سنين . قال نعم وعشرين سنة . قالوا نصبر أربعين قال نعم وخمسين حتى بلغ رأس المائة ، قالوا ألك علم بهم كيف هم بعـد المائة . قال هم بعدالمائة كالدينار المضروب ثلثه هيرزلى خالص وثلثه مغشوش وثلثه لاخير فيه . قال ثم قال قيصر ارجعوا عنى هذا اليوم حتى أفـكر فى أمرى ثم أغدوا على بالغداة أجمعكم . قال فغدوا عليه حين أصبح وأشرف لهم على بيت مرتفع فقال : يا معشر الروم إن هذا لهو النبى الذى بشر به عيسى بن مريم فأجيبوه إلى ما دعا إلية ، فلما رأى ألفاظهم واباءهم صمت عنهم حتى سكن عنه الصوت ثم قال يا معشر الروم دعاكم ملككم لينظر كيف صـــلابتكم فى دينكم فسبقتموه وهو بين أظهركم أهكذا الرعاية ، قال فخروا له سجدا كما كانوا .

التحرير

النضر بن شميل

ذكر الحريرى صاحب المقالات فى كتابه المسمى بدرة الغواص

قال حكى عن محمد بن ناصح الأهوازى قال حدثنا النضر بن شميل المازنى قال كنت أدخل على المأمون فى سمره . قد خلت ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحرورى فأتبرد بهذه الخلقان قال ولكنك تقشف ثم أجرينا الحديث فأجرى ذكر النساء فقال . حدثنا هشام عن مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سداداً من عوز . بفتح السين من سداد ، فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشام .

حدثنا عوف عن ابن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سداد من عوز » بكسر السين قال وكان أمير المؤمنين متكئاً فاستوى جالساً وقال يا نضر كيف قلت سداداً . قلت يا أمير المؤمنين لأن سداداً بالفتح هنا لحن قال أو تلحننى قلت لحن هشام وكان لحانه فتبع أمير المؤمنين لفظة .

قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول .

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له . وأطرق ملياً ثم قاله ما مالك يا نضر قلت أريضه لى بمرو قال أفلا نفيدك معها مالا قلت أنى إلى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول إذا أمرت أن يترب ..قلت أتر به قال فهو ماذا قلت مترب ثم قال ياغلام أتر به ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر بن شميل إلى الفضل بن سهل .

قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه شيئاً . فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا إنما لحن هشام وكان لحانه فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد .

وذكر أبو عبيدة فى كتاب مثالب أهل البصرة .

إن النضر بن شميل النحوى البصرى كان عالماً بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وكان من أصحاب الخليل بن أحمد . فاتفق أن ضافت به المعيشة ورث حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل مافيهم الا محدث أو نحوى أو عروضى أو لغوى أو إخبارى أو فقيه فلما بعدوا عن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء ما فارقتكم . قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك القدر اليسير ، وسار حتى وصل إلى خراسان فاستفاد وأفاد .

رئيس التحرير

النقد الفنى

لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله

« نقلا عن مجلة الأزهر »

تقرير — مرفوع إلى إدارة الأزهر الشريف

بقلم

فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء

— ٢ —

بسم الله الرحمن الرحيم

إن هذا المنهج القرآنى فى تلوين البيان وتنويع العلوم من أهم المقاصد البلاغية : تشويقا إلى الحديث . وتطرية للنشاط ، وترويحاً للنفس من عناء العلائق البشرية وصعوداً بها بين الفينة والفينة إلى الملأ الأعلى وإلى الحياة الباقية ؛ بل هو كذلك من أحكم وسائل التربية العملية ، لأن رد الفروع إلى أصولها ، وبناء القواعد العملية على دعائمها الأولى العقلية والوجدانية .من شأنه أن يمكن العقول والقلوب من هضم القوانين وتمثلها ، وأن يحول النفوس الى قوى محركة تمد الارادات بأقوى بواعثها .

وليس الانتقال من أحد النوعين الى الآخر كما ظن المؤلف انتقالا إلى مقصد جديد أو إلى جو غريب ، فإن مقاصد القرآن وأهدافه فى السور المكية والمدنية واحدة . وهى إصلاح العقائد ، وتنظيم مناهج السلوك للأفراد والجماعات . وإنما يفترق المكى عن المدنى بالاجمال والتفصيل ، وكما لا غنى للقواعد الكلية عن

رسم طرقها العملية ، كذلك لاغنى عن الاستناد إلى قواعدها الكلية،والاستمداد من ينابيعها النفسية العميقة . ولذلك بنى نظم القرآن فى آياته وفى سوره على وجه من التداخل والتعانق بين الاعتقاديات والعمليات والبواعث والزواجر بحيث يظاهر بعضها بعضا على تقرير كل واحدة منها وتثبيتها فى النفوس ، ومن هنا كان القرآن « أحسن الحديث » كما وصفه الله « كتابا متشابها مثانى ،تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .

— ٢ —

أما قول المؤلف إن الوضع الحالى للسور مخل بحكمة التدرج فى التشريع .فهو انتقال نظر يدل على غفلة عظيمة وخلط بين مقامين مختلفين:مقام التنزيل والتعليم ومقام التدوين والترتيل . وهما مقامان قد وضعا من أول يوم لتحقيق غرضين متفاوتين ، فكان أولهما يعتمد حاجات التشريع ، وثانيهما يرتبط بحاجات الوضع البيانى . وإن مراعاة إحدى الحاجتين فى موضع الأخرى ليس من الحكمة فى شىء بل هو وضع للأمور فى غير موضعها .

ولما كان حضرته يميل إلى الأسلوب التصويرى ، ويحب ضرب الأمثال ، وقد ضرب لنا مثلا بالأبجدية والنحو والبلاغة ، حق علينا أن نضرب له المثل الحق الذى هو أحسن تفسيرا فى هذه القضية :

رجل يريد أن يبتنى بيتا لسكناه ، فجعل يجتلب تباعا كل ما هو بسبيل من تحقيق غايته،غير مبال بأن يشترى أجزاء العرش والسقف قبل الأسس والجدران، أو يستورد أدوات الارتفاق قبل مواد البناء ، متتبعا فى كل ذلك فرصة توفر الثمن لديه . ووجود المواد فى السوق ، وسهولة وسائل النقل ، إلى غير ذلك من ظروف احتياجه . وضروب إمكانه ، فهل من الحكمة أن يضع البناء هذه الأجزاء

فى البنيان على حسب تاريخ ورودها ؟ أو الواجب أن يضع كل جزء منها فى مكانه اللائق به ، وفقا لرسم هندسى معلوم ، مهما خالف ترتيبه الزمانى ؟

كذلك كان نزول القرآن منجما على حسب حاجات النفوس من الإصلاح والتعليم ، وروعيت فى ذلك حكمة التدرج والترقى فى التشريع على أحسن الوجوه وأكملها . ولكن هذه النجوم فى الوقت نفسه لم تترك مبعثرة منعزلا بعضها عن بعض ، بل أريد لها أن تكون فصولا من أبواب اسمها السور ، وأن تكون هذه الأبواب أجزاء من ديوان اسمه القرآن ، فكان لا بد أن يراعى فى مواقعها من هذا البنيان معنى آخر غير ترتيبها الزمانى ، بحيث يأتلف من كل مجموعة منها باب ، ويأتلف من جملة الأبواب كتاب ، ولا يكون ذلك إلا إذا ألفت على وجه هندسى منطقى بليغ ، تبرز به وحدتها البيانية فى مظهر لا يقل جمالا وإحكاما عنها فى وضعها الأفرادى التعليمى .

وكانت الآية الكبرى فى أمر هذا التأليف القرآنى أنه كان يتم فى كل نجم فور نزوله ، فكان يوضع هذا النجم تواً فى سورة ما . وفى مكان ما من تلك السورة . وكذلك كان يفعل بسائر النجوم فتفرق فور نزولها على السور . مما يدل قطعا على أنه كانت هناك خطة مرسومة . ونظام سابق محدود . لا لكل سورة وحدها ، بل لمجموعة السور كلها • وهذا وحده — لو تأملناه — من أعظم الأدلة البرهانية على أن القرآن ليس من صنع هذا البشر الذى لا يدرى ما يكون فى الغد ، فضلا عن أن يعلم ما سيأتى به الحوادث فى مجرى حياته كلها ، فضلا عن أن يعرف النظام الذى سيجىء عليه البيان فى شأن هذه الحوادث ليهىء له مكانه قبل مجيئه ، فضلا عن أن يعلم أنه سيعيش حتى تأخذ كل صورة وضعها الكامل ، ويأخذ القرآن نظامه الشامل ، وحتى يكون انتقاله إلى الرفيق الأعلى عقب إعلانه بأن مهمته

قد انتهت .. هكذا يدل كل شيء على أن عناية الله الذي خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، كانت هى التى تهيمن علي تنزيل هذه النجوم القرآنية ، وعلى ترتيبها حتى بلغت تمامها ، وأن هذا الترتيب المكانى المستقل عن ترتيبها الزمانى قد كان مقصوداً لحكمة ألبتة ، عرف هذه الحكمة من عرفها ، وجهلها من جهلها .

ولقد اعترف المؤلف بأنه من أهل القسم الثانى ، حيث قال فى صدر رسالته : « ما الحكمة من ترتيب السور على هذا النحو ؟ » ثم أجاب بقوله : «لست أدرى» فكان ذلك منه انصافا محموداً ، وكان الوضع السليم الذى يقضى به منطق هذا الاعتراف أن يسلك إحدى خطتين : فإما أ يتوقف عن البحث فى حكمة هذا الترتيب ، ويقول كما يقول الراسخون فى العلم : « آمنا به كل من عند ربنا » وإما أن يلتمس من أهل الذكر بيانا يكشف عنه بعض الغمة ... ولكنه لم يصنع هذا ولا ذاك ، بل أسرع فاستنبط من الجهل علما ، ومن الشك يقينا ، ودعا إلى التغيير قبل أن يتثبت من صواب قصده ، فكان كالذين قال الله فيهم « بل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

— ٣ —

وهنا لا يسعنا إلا أن نوجه لحضرته نصيحة رشيدة ، نمهد لها بمقدمة صغيرة.

أما المقدمة فهى : أن التفقه فى القرآن ينبغى أن يكون على ثلاث مراحل متصاعدة لا تستقدم واحدة منها عن موضعها ولا تستأخر . (المرحلة الأولى) فهم مسائل القرآن مسألة مسألة ، والتفقه فى أمرها ونهيها ، وحلالها وحرامها ، ومواعظها وعبرها ، ثم التحلى بآدابها ، والوقوف عند حدودها . (المرحلة الثانية) النظر فى جملة مسائل السورة على أنها أجزاء من وحدة مستقلة يرتبط بعضها ببعض فى نظام واحد ، ويأخذ كل منها فى الوحدة وضعاً معيناً يناسبه . (المرحلة الثالثة)

النظر فى مجموع سور القرآن على أنها أبواب من ديوان واحد قد قصد إلى ترتيبها فيه على هذا النحو .

مثل ذلك مثل الناظر فى علم التشريح : لا يبحث فى العلاقة بين جهاز وجهاز حتى يعرف أعضاء كل جهاز على حدته ، ولا يبحث فى الأربطة والوشائج التى بين هذه الأعضاء قبل أن يدرس تركيب العضو ويستبين أنسجته وخلاياه .

فكما أن الذى يسأل عن حكمة وضع العينين فى مقدم الوجه . ووضع الأذنين فى جانبيه ، قبل أن يعرف تشريح العين والأذن يعد مشتغلا بنوع من الترف العقلى قبل أن يحصل على جواهر العلم ولبابه ، كذلك الذى يسأل عن حكمه تقديم سورة وتأخير أخرى يقال له : إذهب فأتقن فهم الآية والسورة أولا ، ثم تعال فانظر فى حكمة ترتيب السور ، فهذا من زينة العلم وحليته ، وذاك من مبادئه وأولياته . وإن مخالفة المنهج فى هذه الدراسة يعد من عكس الوضع السليم ، كالجائع الذى لا يجد كسرة يسد بها رمقه ، يشيع وقته فى البحث عن الأزهار والرياحين ، أو كالمدين المستغرق الذى ينفق ماله على الفقراء قبل أن يؤدى حق الغرماء .

إذا تمهد هذا فلينظر صاحب هذه الدعوة الجديدة فى أى مرحلة هو من هذه المراحل ، وليضع نفسه حيث يحق له من مراتب أهل البحث والدرس .

فإن كان لا يزال بعد فى إحدى المرحلتين الأوليين ، وجب عليه أن يتريث فى السير إلى المرحلة الأخيرة ، وأن يكتفى بها مؤقتاً بأن يعلم إجمالا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يرتل القرآن فى الصلوات ، وفى العرض فى رمضان وغيره ، على هذا الترتيب ، وأنه جعل « الحمد لله رب العالمين » أول القرآن ، وسماها فاتحة الكتاب فى الأحاديث الصحيحة الثابتة ، مع أنها ليست أول ما أنزل ، وأنه كان يبين لأصحابه موضع السورة من الكتاب ، كما كان يبين لأصحابه

موضع الآية من السورة . فهو إذا وضع مقصود لمغزى يعلمه واضعه ، ولا يضر أحداً الجهل به . ومن بدا له أن يجوز تبديل هذا الوضع لأنه لا يعرف حكمته كان كمن لم يفهم حكمة وضع العينين فى مقدم الرأس ، فظن أنه كان الأنسب أن توضع إحداهما فى الوجه والأخرى فى القفا ليرى الإنسان بهما من أمامه ومن خلفه على السواء . فإن هو حاول تحقيق هذه الفكرة عملياً عاكس الطباع ، وأفسد الأوضاع . « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .
ألا وإن الشأن فى التنزيل كالشأن فى التكوين ، كلاهما من صنع الحكيم الخبير الذى أحاط بكل شىء علماً . فكما أنه لا تبديل لخلق الله ، كذلك لا تبديل لكلماته « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

* * *

أما إن كان قد حذق مسائل القرآن مسألة مسألة ، ووقف على سر نظم الآيات فى سورها آية آية ، واشتهى بعد ذلك أن يعرف الوجه فى ترتيب السور ، فليعلم أن للناس فى ذلك مسالك من النظر بعضها أعمق وأدق من بعض .

ولعل أدنى هذه المسالك وأيسرها قول بعض المستشرقين : إنه روعى فى هذا الترتيب فى الجملة البدء بأطول السور ، ثم بأوسطها . ثم بأقصرها . فهذا وجه من النظر لا يخلو من الصواب ، لأن شأن المبتدىء فى التلاوة أن يكون أجم نشاطا ، وأوفر رغبة ، وأتم استعدادا لقراءة المقالات الضافية ، ثم تأخذ قوته فى التناقص تدريجا ، بسبب ما يعترى الطبع الإنسانى من الفتور والتراخى ، فقدرت السور على حسب الطاقة والنشاط : من المئين ، إلى العشرات . إلى الآحاد .
ولكن هذا التوجيه — كما ترى — سطحى يقيس السور بعدد كلماتها وجملها ، لا بالقرابة بين معانيها وأساليبها .

ولو أننا جاوزنا هذه القشرة السطحية ونفذنا منهـا إلى المعانى والأساليب لوجدنا ضروبا أخرى من التسلسل التعليمى والبيانى تلتحم فيه السورة مع ما قبلها وما بعدها فى أحسن وضع وأحكمه .

ولقد رأينـا آنفـا كيف أن سورتى الأحقاف ومحمد قد تجاوبت مطالعهما ، وتطابقت مقاطعهما ، مع أنهما من فصيلتين مختلفتين فى تواريخ النزول .

هذا ضرب من الاقتران على وجه التوازى والمحاذاة .

وضرب آخر من الانسجام يصح أن نسميه نظام السلاليم ، أو أسلوب الحال المرتحل . وهو أن يكون المعنى الذى انتهت إليه سورة من السور هو نفسه المعنى الذى يفتتح السورة التى تليها . أنظر مثلا إلى سورة الواقعة المـكية كيف ختمت بقوله تعالى : « فسبح باسم ربك العظيم » وكيف حسن مجىء سورة الحديد المدنية بعدها حيث تفتتح بقوله : « سبح لله ما فى السموات والأرض » . وهكـذا كان قوله : « وإدبار النجـوم » جسرا إلى قوله : « والنجـم إذا هوى « ، وقوله : « أزفت الآزفة » سلما إلى قوله : « اقتربت ساعة وانشق القمر » ؛ وقوله : « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر « سببا ممدوداً إلى قوله : « الرحمن ... »

وهناك وجوه أخر من التسلسل أعمق وأدق يهتدى إليها من جعل همه تدبر آيات الله .

وبحسبنا فى هذه العجالة أن نعالج الشبهة التى علقت بصدر المؤلف حين لم يفهم الحـكمة فى وضع الفاتحة فى أول القرآن ووضع بعض السور القصار فى آخره ، وأن نلفت نظره إلى أن كلا من البدء والختام قد وقع موقعه الرصين ؛ ووضع فى قراره المـكين ، وأن المؤلفين حتى يومنا هذا ما زالو يترسمون فى مطـالع كتبهم ومقاطعها فى هذا المنهج المثالى القرآنى .

فموقع سورة الفاتحة من القرآن كله موقع الفهرس الذى يعرض بإيجاز محتويات الكتاب قبل الدخول فى تفصيله ، فكل شىء فى القرآن من الإلهيات ، والنبوات ، والمعاد ، والأعمال ، والأخلاق ، وعبر التاريخ : قد وضعت مفاتيحه فى هذه الكلمات القليلة بأسلوب لا يبدو عليه طابع العد والسرد . وإنما هو ماء الحياة ينساب فى جداوله غذاء للعقول والأرواح ، فلا يمل ولا يخلق على كثرة الترداد .

ثم إن لهذه السورة — وراء موقعها من جملة القرآن — موقعا خاصا من السورة التى بعدها ؛ هو موقع الديباجة التى تبين وجه الحاجة إلى التعليم الذى يليها . وذلك أنها صورت المؤمنين باسطي أيديهم ملتمسين الهداية من واهبها : « اهدنا الصراط المستقيم » . فكان حقا على المسئول القريب الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، أن يتلقى هذا الدعاء بالقبول ؟ وهكذا جاءت سورة البقرة معلنة فى بدايتها أنها ستسد هذه الحاجة وستحقق هذا الملتمس : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

أرأيت لو أننا وضعنا الفاتحة على ترتيب نزولها كما يريد المؤلف بين سورتى المدثر وأبى لهب ؛ كيف كان ينبو بها موضعها ، وتنقطع صلتها بما قبلها وما بعدها ، وكيف كانت تفوت هذه المجاوبة الروحية بين الداعى والمدعو ، وكيف كان يصبح القرآن كتابا بغير فهرس ؛ بل جسما بلا رأس ؟

أما السور السبع القصار ؛ فإنها كلها تحمل طابع الختم والإنهاء ؛ وإن النفس الذى يجرى فيها لينادى بأنها كلها أشبه شىء بوصية المودع . فانظر إلى سورة (الكوثر) حين قضى الوحى مفصلا كيف التفتت إليه فى نظرة جامعة لتعرف الرسول بمقدار ما انطوى عليه القرآن من النعمة الكبرى والخير العميم : « إنا أعطيناك الكوثر » فكان ذلك أحسن فذلكة يختم بها كتاب وينوه بشأنه

ولما كان تعريف الرسول بنفاسة ما وصل إلى يديه ليس امتنانا عليه فحسب ؛ بل هو تحريض خفى له على الحرص على تلك الهدية ؛ لا جرم جاءت السورة التى تليها مقفية على هذا التقريظ بالأمر المؤكد بالاستمساك بهذا الدين، وعدم التحول عنه مهما لج المعاندون : « قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ... » ، وكان طبيعيا بعد هذا الأمر والنهى ؛ وبعد تقسيم الناس هكذا إلى معسكرين منفصلين فى شأن الدين ؛ أن تقرر عاقبة كل منهما ؛ فأشارت إحدى السورتين التاليتين إلى عاقبة المتقين المستمسكين بما جاءهم : « إذا جاء نصر الله والفتح » وأشارت الأخرى إلى عاقبة أعدائهم وشانئيهم : « تبت يدا أبى لهب وتب » ولم يكن هذا الأخير إلا تطبيقا لقاعدة كلية مهدت له آنفا فى قوله تعالى : « إن شانئك هو الأبتر » . ثم كان مسك الختام أن بورك هذ الكتاب وحصن التحصين السماوى المنيع ، وذلك بطلب الالتجاء إلى الإله الأحد الصمد فى أن يحفظ للعالم هذه الهداية العظمى ؛ برغم حسد الحاسدين ؛ ووسوسة الموسوسين ، الذين يلقون الشبهات فى صدور الناس ليصدوهم عن سبيل الله .

هذا نموذج من نسق السور كما رتبها الله : طاب بدءاً وختاماً ، وحسن مرتحلا ومقاماً . ولا غرو فهو تنزيل الحكيم الحميد ، ومن أحسن من الله حديثا .



ونعود الآن فنعترض جدلا أن ترتيب السور لم يكن بتوقيف النهى ، ولا بتوقيف نبوى ، وأنه كان من عمل الصحابة باجتهاد منهم . ألا يكفينا فى حرمته وقداسته أنه استقر عليه إجماع المسلمين من بعدهم ؟

إن اليهود والنصارى — وقد أصاب كتبهم ما أصابها من تعدد النسخ واختلافها — يحسدون المسلمين على أن لهم كتاباً موحداً لا يختلف فيه حرف

واحد عند سنى ولا شيعى منذ أربعة عشر قرناً ، ولا يختلف فيه وضع سورة فى نسخة عن وضعها فى أخرى ، بل إن علماءهم يغبطوننا على وجود بعض ألفات أو لامات زائدة فى رسم المصحف ، وعلى انفصال بعض كلمات شأنها أن توصل ، واتصال كلمات شأنها أن تفصل ، ونحو ذلك من الرسوم القرآنيـة المخالفة للرسم الاملائى المقرر فى كتب النحو والصرف ، ويستدلون ببقاء هذا كله فى المصاحف الاسلامية — برغم اختـلاف العصور وتطور العلوم — على مبلغ القدسية التى أحاط المسلمون بهـا كتابهم من أول يوم ، وعلى أن النص الذى تلقوه من نبيهم بقى كما هو لم تنله يد قط بأدنى تغيير أو تبديل ، مع وجود الحاجة إلى بعض هذه التعديلات تسهيلا على المبتدئين أفنجىء نحن اليوم — بغير ضرورة ولا فائدة ، بل إفساداً واتباعاً للهوى — فتضيع بأيدينا هذه الحجة القائمة ، وتفتح مجال الشبهة أمام العصور المقبـلة ، فيقول قائل منهم « إنه لم تبق لنا ثقة بأن هذا الـكتاب بقى فى كل العصور بعيـداً عن كل تبـديل ، لأنه فى العصر الفلانى قد غيرت أوضاع السور فيه ، فلعله قد أصابته قبل ذلك تعـديلات أخرى لم تصـل إلينا أنباؤها ؟

وجملة القول أن الدعوة إلى تغيير ترتيب السور دعوة لا يقرها عقل ولا نقل لأنها قبل كل شىء دعوة إلى بدعة خارقة لإجماع المسلمين يحرف بها الـكلم عن مواضعه التى وضعه الله فيها . ولأنها محاولة لن يكون من ورائها إلا إفساد النسق وتشويه جماله ، ونقض بنيانه المحـكم الوثيق ، ثم لأنها فتح باب للشبهة فى حفظ الذكر الذى ضمن الله حفظه . فهى إذاً دعوة لا يستجاب لها ، ولا يجوز أن يمكن أحد من تحقيقها .

بقى أن نقول رأينا فيما ينبغى أن يتبع فى شأن المؤلف وتأليفه .

إننا لسنا من أنصار سياسة الكبت وتكميم الأفواه والأقلام، والتسرع بمصادرة الكتب والآراء المنحرفة فى الدين، لأنها سياسة قد أثبتت التجارب فشلها، ولأنها بدل أن تطفىء نار الفتنة تشعل أوارها، وتغرى أهل الفضول بتلمس هذه المؤلفات كما تتلمس المهربات، ولأن ضعيف الحجة هو الذى يحاول إسكات خصمه بالقوة والعنف. وليس الضعف من صفات الحقائق الاسلامية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وأخيراً لأن هذه السياسة ليست سياسة قرآنية: فإن الله تعالى أمرنا أن ندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل المخالفين بالتى هى أحسن، ثم إنه سبحانه لم يترك شبهة ولا فكرة زائغة لأعداء الاسلام إلا سجلها وخلدها فى كتابه، وقفى عليها بما يدحض باطلها. فكذلك ينبغى فيما نرى أن نقرع كتب المبطلين بالحق الذى يدمغها. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة.

ونرى فى موضوعنا بوجه خاص أن ترسل صورة من هذا البيان إلى المؤلف، وأن نترك له الفرصة الكافية لقراءته وتدبر مافيه.

فأما إن كان من طلاب الإصلاح بنصفة وحسن نية، فسيكون هو أول من يرجع إلى الحق متى تبين له، وأن من يحافظ على ترتيب القرآن كما رتبه الله. وإن بقيت فى نفسه بعض شبهة فسيسعى إلى حلها باستفتاء أهل الذكر فيها.

وأما إن أصر على رأيه لحاجة وهوًى فى نفسه، فلنترك دعوته تموت بعدم الإصغاء اليها. فإن نشط لنشرها وترويجها، وتضليل السذج بمغالطاتها، بعثنا عليه جنودا من حجج الحق نتعقب بها فلول باطلة، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة.

ونحن على كل حال واقفون بالمرصاد لكل من أراد تبديل شيء فى كتاب الله والله غالب على أمره. والسلام على من اتبع الهدى.

قصـــــــــــة

من غريب ما اتفق . وعجيب ما سبق

حكى أن ملـكا من ملوك الفرس يقال له أردشـير وكان ذا مملـكة متسعة وجند كثير وبأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع فأرسل اليها من يخطبها من أبيها فامتنع من إجابته فعظم ذلك على أردشير وأقسم ليغزون الملك وليقتلنه وإبنته شر قتلة . فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله فقتله وقتل سائر خواصه ثم سأل عن إبنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسناً وجمالا وقداً واعتدالا . فبهت أردشير من رؤيتـه إياها . فقالت له أيها الملك إننى إبنة الملك الفلانى ملك المدينـة الفلانية . وأن الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحـابة وإنه أسرنى فى جملة الأسارى وأتى بى فى هذا القصر ، فلـما رآنى إبنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فـكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد .

فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك ؛ فأرسلها إلى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك . فقال أردشير وددت لو أنى ظفرت بها فـكنت أقتلها شر قتلة ثم أنه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى بأخذها ثم أنه أخذها وبنى بها فحملت منه .

فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر

فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك . فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا إبنته التى خطبتها منـــه وإنى سمعت أنك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلاينهيأ لك قتلى ، فعظم ذلك على أردشير إذ قهرته امرأة واحتالت عليـــه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضباً وعول على قتلها . ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها ، فلما رأى الوزير عزمه قوياً على قتلها خشى أن تتحدث الملوك عنـه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع .

فقال أيها الملك : إن الرأى هو الذى خطر لك ، والمصلحة هى التى رأيتهـا أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو الصواب لأنه أحق من أن يقال أن امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لأجل شهوة النفس .

ثم قال أيها الملك هى أولى بالستر ولا أرى فى قتلها أستر من الغرق فقـال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بهـا ليلا إلى البحر ومعه بعض أعوانه فتحيل إلى أن طرح شيئاً فى البحر أوهم من كان فيه أنهـا الجارية ثم إنه أخذها عنده فلما أصبح جاء إلى الملك فأخبره أنه غرقها فشكره على ما فعل ثم أن الوزير ناول الملك حقاً مختوماً ، وقال أيها الملك إنى نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم .

وإن لى أولاد وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه إذا أنا مت إن رأيت

وهذا الحق فيه جوهر أسـأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانى قد ورثته عن أبى وليس عندى شىء اكتسبته إلا هذا الجوهر فقال له الملك أطال الله فى عمرك ومالك لك ولأولادك سواء كنت حياً أو ميتاً ، فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وأودعه عنده فى خزائنه : ثم مضت أشهر

الحمل فوضعت الجارية ولدا ذكراً جميلا حسن الوجه كالقمر ليلة البدر . فلاحظ الوزير جانب الأدب فى تسميته فرأى أنه إن اخترع له إسماً وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الأدب وإن هو تركه بلا إسم لم يتهيأ له ذلك ، فسماه شاه بور . ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك . فإن شـاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تقديم المتأخر وتأخير المتقدم وهـذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد إلى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له إسمه شاه بور إلى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقدم على الهرم فمرض وأشرف على الموت . فقـال للوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وأنى أرى أنى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان يتولى بعده الملك .

ثم أنه ذكره بأمر بنت ملك بحر الأردن وبحملها ؛ فقال الملك : لقد ندمت على تفريقها ، ولو كنت أبقيتها حتى تضع ، فلعل حملها يكون ذكراً ، فلما شاهد الوزير من الملك الرضا ، قال : أيها الملك إنها عندى حية ترزق ، ولقدوضعت ولداً ذكراً من أحسن الغلمان خلقاً وخلقا ، فقال الملك : أحقاً ما تقول ؟ فأقسم الوزير أن نعم ، ثم قال : أيها الملك أن فى الولد روحانية تشهد بأبوة الأب : وفى الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لايكاد ذلك ينخرم أبداً ، وإنى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاماً فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذووا آباء معروفين خلا هو ، وإنى أعطى كل واحد منهم صولجاناً وكره ، وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا . ويتأمل الملك صورهم وشمائلهم ، فمن مالت إليه نفسك فهو هو ، فقال الملك نعم التدبير الذى فعلت ، فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك

فكان الصبى منهم إذا ضرب السكره وقربت من محلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها إلا شاه بور فانه كان إذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم وأخذها غير هياب ولا وجل ، فلاحظ أردشير ذلك منه مراراً ، فقال . أيها الغلام ما إسمك ؟ قال شاه بور ، فقال له : صدقت أنت ابنى حقاً ، ثم ضمه إليه وقبله بين عينيه ، فقال له الوزير : هذاهو ابنك أيهاالملك ، ثم أحضر الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها ، فقبلت يدى الملك ورضى عنها ، فقال الوزير : أيها الملك قد دعت الضرورة فى هذا الوقت لأخذ الحق المختوم ، فأمر الملك بإحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الأطباء ، وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذه العملية أجريت له قبل أن تسلم الجارية بليلة واحدة . قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير الخطير من قوة الاخلاص والنصح للملك فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية وإثبات نسب الولد ولحوقه بأبيه .

ثم إن الملك عوفى من مرضه الذى كان قد ألم به وصح جسمه ولم يزل فى فى سرور بابنه إلى أن حضرته الوفاة ورجع الملك إلى إبنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرفع منزلته ويرعى حقوق أولاده حتى توفاه الله تعالى اليه .

أبو هاشم متولى
